الجمـــهورية الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: أدب جزائري

التراث الأدبي الجزائري في العهد العثماني

– دراسة تأريخية فنية –

مقدمة من قبل:

الطالب (ة): **بضياف شيماء**

الطالب (ة): **مناصرية هاجر**

تاريخ المناقشة: 20 / 06 / 2023

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
فوزية براهيمي	أ/ محاضر –أ–	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
العايش سعدوني	أ/ محاضر –أ–	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
يزيد مغمولي	أ/ مساعد –أ–	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2023/2022

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم الذي لولاه ما جرى قلم ولا تكلم لسان والصلاة والسلام على صفوة خلقه وأنبيائه وعلى أله وصحبه وبعد:

قال لقمان لابنه: يا بني زاحم العلماء بركبتيك، وأنصت إليهم بأذنيك فإن القلب يحيا بنور العلم كما تحيا الأرض الميتة بالمطر.

وبأصدق العبارات وأوفاها نقدم شكرنا وتقديرنا، للدكتور "**العايش سعدوني**" المشرف على هذه المذكرة على ما أولانا به من نصح وإرشاد جزاه الله خيرا.

ثم لا ننسى فضل الأساتذة الكرام الذين ساعدونا وشجعونا على إنجاز هذه الدراسة دون أن ننسى جميع أسرة جامعة قالمة.

كما نتقدم بالشكر لكل أعضاء اللجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذا البحث المتواضع وإثرائه بملاحظاتهم القيمة وتقويمه.

إهداء

إلى عائلتي الكريمة كل باسمه أهدي هذا البحث

ثمرة من ثمار غرسهم وتشجيعهم.

إلى أصدقائي وزملائي

إلى كل عاشق للغة القرآن وخادم لها

إلى كل من أفادني ووجهني ولو بكلمة

بضياف شيماء

إهداء

إلى عائلتي الكريمة كل باسمه أهدي هذا البحث

ثمرة من ثمار غرسهم وتشجيعهم

إلى أصدقائي وزملائي

إلى كل عاشق للغة القرآن وخادم لها

إلى كل من أفادني ووجهني ولو بكلمة

هاجر مناصرية

مقدمـــــة

مقدمة:

يحفل التراث الفكري والأدبي الجزائري بالكثير من الذخائر النفيسة التي خلفها كبار الأدباء والشعراء، على مر العصور الغابرة، فالأدب الجزائري ليس وليد فترة قريبة من الزّمن بل هو مخاض نتاجات عرفتها الجزائر منذ فجر الفتح الإسلامي، وامتدت جذورها لتنمو وتتغير حسبما اقتضته البيئة والذّهنية المنتجة، والتي قد ساهم التاريخ المساهمة الأكبر في بلورتها والحكم على كم الإنتاج والإبداع الفني فيها.

ويشكل تاريخ الجزائر في فترة الحكم العثماني، الفترة التي لم تستوف حقها بعد من الدراسات والأبحاث، عرف تاريخها محطات مجهولة، بما فيه من اضطرابات سياسية واجتماعية كثيرة والتي انعكست بدورها على الظّاهرة الثقافية والأدبية بشكل عام.

ومن هنا أتى هذا البحث استجابة لرغبتنا في كشف بعض مما خفي عن الحياة الفكرية والأدبية التي عاشها الأدباء الجزائريون في العهد العثماني، فجاء موسوما بـ: "التراث الفكري والأدبي العثماني في الجزائر".

وقد اخترنا هذا الموضوع بالذّات للخوض في دراسته لجملة من الدّوافع منها الذّاتية ومنها الموضوعية:

الدّوافع الذّاتية:

- ميلنا للاهتمام بمواضيع الأدب الجزائري القديم كونه يحمل في طياته تاريخنا وهويتنا.
- الرّغبة في إعادة إحياء التّراث الجزائري والاهتمام به.
- رغبتنا في الاطّلاع على المواضيع قليلة الدّراسة وكشف أغوارها.

الدّوافع الموضوعية:

- محاولة تسليط الضوء على هذه الفترة بالذّات، كونها لم تلق حظّها من الدّراسات الكافية ذلك ليماط عنها اللثام وتعود محط أنظار الباحثين من جديد.

- قلة الدّراسات في هذا الموضوع في جامعة قالمة تحديدا.

هذه الدّوافع لا تأتي إلا من مجموعة إشكالات جعلت مسألة الخوض في موضوع هذا البحث تأخذ مساراتها الواضحة التي ستسير عليها خطاه، وهي كالآتي:

- ماهي ملامح الحياة السّياسية والحياة الثّقافية خلال العهد العثماني؟ وكيف كان تأثير الأولى على الثانية؟
- هل صحيح أن تلك الفترة كانت تعاني من الرّكود الفكري والأدبي، كونها تمثل أضعف الحلقات في مرحلة الأدب الجزائري؟
- هل يمكن أن نعد النّماذج المنتقاة مرجعا تاريخيّا يمكن أن يؤرخ لأحداث مهمة في تاريخ الجزائر في تلك الفترة؟ وهل استطاعت هذه النّماذج أن ترتقي بخصائصها الفنية والجمالية إلى مستوى النّصوص الأدبية الراقية؟

وانطلاقا من هذه الإشكالات، قمنا برسم خطة منهجية للإجابة عنها والمتمثلة في: مقدمة مدخل وفصلين ثم خاتمة حوصلت النتائج المتوصل إليها.

جاء المدخل نظريّا بعنوان: "السّياق التّاريخي والثّقافي في الجزائر في العهد العثماني" تحدّثنا فيه عن الحياة السياسية المتمثلة في طبيعة نظام الحكم وفترات استقراره واضطراباته ثم تطرقنا إلى الحديث عن الحياة الثقافية وأبرز جوانبها ومراكزها.

أما الفصل الأول فكان مزيجا بين التّنظير والتّطبيق وكان عنوانه: "الشّعر الجزائري في العهد العثماني وظواهره الفّنية نماذج مختارة"، قمنا فيه بالتطرق لمواضيع الشّعر وأغراضه في تلك الفترة، محاولين في الوقت نفسه التّأريخ لأحداث مهمة من تاريخ الجزائر عبر النّماذج المنتقاة وإبراز جوانبها الفنية.

أما الفصل الثّاني عنوناه بـ: "النّثر الجزائري في العهد العثماني وظواهره الفنية نماذج مختارة"، تطرقنا فيه إلى أهّم الفنون النّثرية التي عهدها ذلك العصر مع محاولة انتقاء الأساليب الجمالية فيها، غير مهملين الجانب التّأريخي لتلك الأعمال.

ثم ذيلنا بحثنا بخاتمة تمثّل نتائج البحث.

وفيما يخص المنهج الذي اعتمدنا عليه في بحثنا، فقد اقتضت طبيعة الدّراسة اتباع أكثر من منهج واحد، فاتبعنا المنهج التّاريخي أولا، الذي استطعنا من خلاله تحديد النّماذج المختارة وربطها بفترتها الزّمنية التي أنتجت فيها والمنهج الوصفي التحليلي ثانيا، الذي ساعدنا على جمع وتحليل النّماذج الشّعرية والنّثرية وابراز الأساليب الفنية فيها.

وبعد اطلاعنا على الموضوع تبين لنا أن هناك دراسات سابقة له لكنها كانت قليلة مقارنة مع الأهمية التي يحتلها، منها:

- الشّعر الجزائري في العهد العثماني موضوعاته وخصائصه الفنية، لجمال سعادنة (رسالة دكتوراه).
- الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، لدخية فاطمة (رسالة دكتوراه).

ولا ننسى أيضا جهود الباحثين الجبّارة، التي أنارت لنا الطّريق ولولاها لما توصلنا إلى ما توصلنا إليه، ونذكر منهم:

- أبو القاسم سعد الله وكتابه" تاريخ الجزائر الثقافي" بجزأيه الأول والثّاني، وتحقيقه "لرحلة لسان المقال" لابن حمادوش.
- المهدي البوعبدلي وتحقيقه "للثّغر الجماني" لابن سحنون.
- محمد بن عبد الكريم وتحقيقه لكتاب "التّحفة المرضية لابن ميمون".
- حسان عباس وتحقيقه لكتاب "نفح الطيب" للمقري.

وبما في ذلك من مصادر لمخطوطات أصلية منها:

"رحلة اللبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب" لابن عمّار.

ولعل الصّعوبات التي واجهتنا تكمن أساسا في ضيق الوقت الذي يعد من أهم العراقيل التي حالت دون إخراج هذا البحث كما كنا نطمح له، نظرا لصعوبة انتقاء النّماذج

وتحديدا النّماذج التي تؤرّخ لتلك الأحداث المهمة من تاريخ الجزائر ناهيك عن البحث في حياة أصحابها وتراجمهم وكذا تعسر قراءة المخطوطات القديمة.

أما الهدف من هذه الدّراسة يكمن في المساهمة في إثراء مكتبة الأدب الجزائري بمزيد من الأبحاث، ومعرفة ما إذا كان هناك إبداع أدبي في العهد العثماني.

وفي الأخير نكون قد حاولنا أن نمنح الموضوع قدرا من العناية والتحليل، على قدر المساحة المتاحة في مثل هذه البحوث، علّنا نجد فرصة أخرى من العمر لإتمام العمل فيه، حتّى نستفيض أكثر في دراسته، ونعطيه حقه اللاّزم من الاهتمام.

كما لا ننسى أن نتوجه بالشّكر والامتنان لكل من ساعدنا في إتمام هذه الدّراسة، وخاصة أستاذنا المشرف الدّكتور "العايش سعدوني" الذي لم يبخل علينا بإرشاداته وتوجيهاته القيّمة وعن معاملته الحسنة لنا وله منا كل الاحترام والتّقدير ونسأل الله أن يكون قد وفّقنا في إخراج هذا البحث، بصورة مقبولة حتّى وإن قصّرنا في بعض المواطن، فمن لا يخطئ لا يتعلم.

مدخـــــل

السياق التاريخي والثقافي للجزائر في العهد العثماني

أولا: الحياة السياسية

ثانيا: الحياة الثقافية

تمهيد:

بعد استنجاد الشّعب الجزائري بالأسطول العثماني، الذي اشتهر بإنقاذ مسلمي الأندلس من براثين الاضطهاد المسيحي، نال الشّعب الجزائري حريته أخيرا، التي حارب من أجلها بكل مرارة العدو الذي لم يستطع طرده إلاّ بعد تلقيه يد العون، ليبدأ بذلك عهد جديد من تاريخ الجزائر، ويبسط فيه العثمانيون نفوذهم في الدولة الجزائرية، لتشهد تلك الفترة من الحكم التي دامت قرابة الثلاثة قرون تقلبات سياسية واقتصادية، أثّرت نتائجها على الحياة الاجتماعية ومنه الثّقافية والفكرية والأدبية، ورغم ما يقال عن العثمانيين وما خلفوه من سلبيات معتبرة خاصة على مستوى الثقافة والأدب، نظرا لعدم اهتمام الحكام بهذا الجانب وتفرغهم لجمع العدّة والعتاد والجنود، إلا أن هذا لا ينفي أن هذا الوجود قد قدم معروفا كبيرا للشعب الجزائري، الذي تمثل في إعلاء راية الإسلام والحفاظ عليه والجهاد من أجله وهذا أعظم معروف قد قدموه.

أولا: الحياة السّياسية:

نظام الحكم: تميز نظام الحكم في الجزائر إبّان العهد العثماني بتوالي عدة أنظمة سياسية كالاتي:

المرحلة الأولى: عهد باي البايات (1519-1587):

تعتبر هذه المرحلة باكورة الحكم العثماني في الجزائر بصفة رسمية، يسمى حاكم هذا العهد بباي البايات وهو حاكم يعيّن من قبل السلطان العثماني من رجال البحر ومنهم: خير الدّين، حسن بن خير الدّين، صالح رايس، علج علي، ومن أهمّ ما تميزت به هذه المرحلة:[1]

[1] – ينظر: أرزقي شويتام: طبيعة الحكم العثماني في الجزائر(1830م-1519م)، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد1، شهر جوان 2022، ص105.

- قام حكام هذه الفترة بإعادة تنظيم البلاد وإخضاعها إلى سلطانهم حيث امتدّ حكمهم إلى الحدود التونسية والمغربية، ليصل في عهد صالح رايس إلى الواحات الجزائرية الجنوبية ورقلة وتقرت في عام 1952 كما امتدّ سلطانهم إلى حكام تونس وطرابلس.
- تأسيس أول نواة للبحرية الجزائرية التي سيطرت على البحر المتوسط.
- هيمنة حكّام هذه الفترة على القوتين العسكريتين البرية والبحرية وسيروا شؤون البلاد بمفردهم دون الأخذ برأي الديوان.
- تصدّوا للغارات المتتالية التي شنّها الإسبان على السواحل الجزائرية كغارة ملك إسبانيا شارلكان عام 1541.
- تميزت هذه المرحلة بارتباط الجزائر ارتباطا وثيقا بالدولة العثمانية نتيجة الخطر الإسباني الذي يهدّد العالم الإسلامي بأسره، غير أن الوضع قد تغيّر في أواخر القرن السادس عشر وذلك بعد تدهور أسطول الدولة العثمانية في هزيمة ليبيانت البحرية عام 1571[1]، من أبرز قادة هذه الحرب "علج علي"* فقد حضَّر نفسه لمواجهة الأسطول المسيحي، وانظّم للأسطول العثماني حتى تلقى الأوامر من السلطان وجاء في نص هذا الأمر ما يلي: "بعد التوكل و الاعتماد على علو عناية الحق جل وعلا، والتوسل والاستناد إلى آيات معجزات بسرور الكائنات عليه، وعلى أله أفضل الصلوات فقد تقرر في هذه السّنة الخيرة غزو الكفار من البر والبحر، وإلحاق الخسارة بجزره المعادية وأسطوله –هزمه الله– وكذلك بقصد دفع ورفع مضرته وفساده وتلقينهم درسا لن ينسوه".[2]

لكن الهزيمة كانت حليفة أسطول الدولة العثمانية وذلك يعود إلى:

[1]– ينظر: أرزقي شويتام: طبيعة الحكم العثماني في الجزائر(1830م–1519م)، ص105.

[2]– سحابات زهيرة: البحرية الجزائرية ودورها في الحروب العثمانية ما بين 1551م–1639م، مجلة الخلدونية، العدد1 01/06/2016، ص143.

* اسمه الأصلي جيوفان ديونيدجي من أصل إيطالي اعتنق الإسلام

- وجود السّفن السّتة الضخمة التي تعود للبندقية، وكون أغلبية الجنود المسيحيين والبّحارة يحاربون بالدروع الضخمة، في حين أن المحاربين الأتراك يحاربون بالأقواس والسّهام والرّماح والسّيوف المحدبة وقد خلّفت هذه الحرب خسائر فادحة تمثلت في:

غرق 94سفينة واستيلاء الأوروبيين على 130سفينة أخرى عليها، نحو 300مدفع و30ألف رجل.[1]

وبالإضافة إلى هزيمة (لبيانت) البحرية انشغل العثمانيون، بالحرب مع الفرس بعد تلاشي الخطر الإسباني، على الجزائر بسبب انشغال إسبانيا بالحرب مع فرنسا وهولندا وإنجلترا وذلك ما أدى بهم إلى تغيير نظام الحكم، بإلغاء نظام البايلربايات وهذا التغيير شمل كل الولايات التّابعة للدولة العثمانية[2]، ولكن هذه المرحلة عموما تميزت بالاستقرار بفضل جهود الأخوين عرّوج وخيرالدين بربروس.[3]

المرحلة الثانية: عهد الباشاوات (1587م .1659م):

يتم تعيين الباشوات لمدة ثلاث سنوات من قبل السلطان، وهي فترة قصيرة وذلك بعد حذف لقب البيلرباي الذي كان يحمله حاكم الجزائر ويشارك الباشا في نفوذه "الوجاق"، أو قوة الجيش مع الدّيوان ونذكر من باشوات الجزائر: دالي أحمد باشا، خضر باشا، الحاج شعبان باشا، مصطفى باشا، إبراهيم باشا...إلخ. ولكن خلال فترة حكمهم واجهتهم العديد من المشاكل المتمثلة في:[4]

---

[1]– ينظر: سحابات زهيرة: البحرية الجزائرية ودورها في الحروب العثمانية ما بين 1551م–1639م، ص144.

[2]– ينظر: أرزقي شويتام: طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1830م–1519م)، ص106.

[3]–سعيدوني ناصر الدين: الجزائر في تاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984 ص514

[4]– ينظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية، الجزائر، (1375م ـ 1955م)، ص385.

- تمرّد قبائل قسنطينة وثورة الكراغلة.
- احتدام الصراع بين القوتين العسكريتين البرية والبحرية.

ونظرا لمنافسة الفرقة الإنكشارية في السلطة السّياسية والإدارية، فقد الباشوات السيطرة على الوضع، وفي عام1596م جمع خيضر باشا الكراغلة والأعراب ليتصدى لمقاومة المنشقين والمتمردين غير أن محاولاته باءت بالفشل ونتج عن ذلك عدة أحداث جديدة:

- قرارات الباشوات أصبحت تصدر بأخذ رأي الديوان الذي كان يسيطر على الرؤساء.
- انفصال فرقة الإنكشارية عن الدولة العثمانية.[1]

وقد استمر الباشوات في حكم البلاد حتى عام 1659م وانتهى واضمحل هذا الحكم بسببهم ذلك أن الباشا انشغل في هذه المدة بنفسه منصرفا عن الإدارة، من خلال التمويل بشتى الطرق كالرشوة والسرقات فسقطت هيبته.

كان الباشوات يسرفون في التعدي على الشعب حيث يكلفون بعض القراصنة بأن يقوموا بعملية القرصنة لحسابهم وكان يمثل دور النظر في شؤون البلاد من حين إلى حين في اجتماعات الشورى والاحتفالات ونتيجة تفطن الديوان لهذه الأحداث قرّر أن يسحب من الباشا أخر ما بقي له من مظاهر السلطان وأصبحت السلطة الفعلية بيد الآغوات.[2]

المرحلة الثالثة: عهد الأغوات (1657م -1671م).

أحد أهم فترات التّاريخ الجزائري في العهد العثماني، حيث مثّلت منعطفا لما تميز به من تغيرات، والآغا هو أعلى منصب في هرم أوجاق الإنكشارية كان ينتخب لمدة لا تزيد عن شهرين لذلك عرف في كتابات الرحالة الأوروبيين ب "أغا القمرين" وبصفته القائد

[1]– ينظر: ارزقي شويتام، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1830م–1519م)، ص106.

[2]– ينظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص358.

الأعلى، كان يتمتع بسلطة معتبرة حيث يرأس ديوان الإنكشارية ويعاقب أفراد الوجاق إذا ارتكبوا ذنبا.[1]

شهدت هذه المرحلة اضطرابات داخلية عديدة حيث عاد تولي، الإنكشاريين للحكم بالعديد من الأضرار.

توالى على هذا المنصب أربعة آغوات، وكلهم اغتيلوا من قبل الجنود بسبب محاولتهم الاحتفاظ بالمنصب لأكثر من المدة المحددة أو لعجزهم عن دفع رواتب الجنود، ومن الاضطرابات الداخلية التي شهدتها هذه المرحلة ما يلي:

- اشتداد الصراع بين القوتين العسكريتين البرية والبحرية.
- تعرض البلاد إلى عدة غارات أوروبية منها غارة القائد الفرنسي "يوفور" على مدينة جيجل.

وفي خضّم هذه الفوضى استاءت طائفة الريّاس من هذا الوضع وعينت أحد الرياس حاكما على الجزائر تحت اسم الدّاي.

المرحلة الرابعة: عهد الدّايات (1671- 1830).

كان الدّايات في بداية عهدهم ينتخبون من طرف طائفة الريّاس، و كانوا في الأول من رجال البحر ولكنه عاد بالسلب وألحق أضرار بالغة بالبحرية الجزائرية، وذلك أن السواحل الجزائرية تعرضت لعدة غارات فرنسيّة مما أدّى هذا إلى ضعف مركز طائفة الريّاس، وكان هذا الوضع في صالح الانكشارية الذين تمكنوا من استرجاع نفوذهم، حيث أصبح الدايات ينتخبون من الانكشارية ويتولى هذا المنصب إحدى الشّخصيات البارزة في الدولة: الخزناجي الآغا، خوجة الخيل، وقد تمكن الداي مع مرور الوقت أن يجمع بين[2]

[1]- ينظر: محمد أمين: الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، سنة (2007-2008)، ص23.

[2] - ينطر: ارزقي شويتام، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519-1830)، ص107.108.

منصب الداي والباشا ولم يعد الداي تابعا للسلطان العثماني بل حليفا له غير أن تعيينه لا يتم إلا تحت قرار السلطان وكذلك تعود إليه قرارات التجنيد.

ومما يمكن قوله أن هذه الفترة استمرت بدون انقطاع وعرفت فيها الجزائر مقوّمات سياسية وتمتعت بالاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية.[1]

وخلاصة القول: إن التحاق الجزائر بالدولة العثمانية مثّل بداية مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر، بيد أن الحكم العثماني لم ينشأ دفعة واحدة بل أخذ وقتا طويلا حتى امتد وتوطد في البلاد، وتبعا لذلك تعاقب في هذا العصر العديد من الحكام عبر فترات زمنية محددة كالآتي: بداية بباي البايات، الباشاوات، الآغوات ومرحلة حكم الدايات، وهذه الأخيرة عرفت بأنها أطول مرحلة ونظرا لهذا التغيير نتجت فوضى مستمرة واضطرابات داخلية وخارجية غير أن الولوج في باب الحكم العثماني في الجزائر، بيّن لنا أن عدم الاستقرار راجع لميول بعض الحكام الحربية وبعدهم وجهلهم بالعلم والعلماء، حيث إن همهم الوحيد كان القرصنة ونهب الأموال وكذا التسلط العسكري غير أن هذا لا ينفي وجود بعض الاستقرار والميزات الإيجابية في الحكم خلال هذه الفترة.

النظام الإداري:

عرف النظام الإداري في الجزائر على عهد الأتراك بأنه يقوم على خمسة أسس رئيسية:

- ✓ الأساس الأول: الإدارة المركزية.
- ✓ الأساس الثاني: تقسيم الإدارة.
- ✓ الأساس الثالث: نظام الجيش.
- ✓ الأساس الرابع: ميزانية الدولة ومواردها.
- ✓ الأساس الخامس: طائفة الرياس.

[1]– ينظر: ارزقي شويتام، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519–1830)، ص107.108.

الإدارة المركزية: كان يترأسها الإخوة الأتراك بابا عرّوج ثم خيرالدين ثم من قبل حسن آغا في بادئ الأمر ومن ذلك الحين إلى سنة (1070هـ/1659م) حيث تولّى هذا الحكم، باي البايات ليستبدل في الأخير بلقب آخر هو الباشا وكان هؤلاء الحكام يديرون شؤون البلاد بمعاونة لجنة استشارية مؤلفة من 4 أعضاء:

- ✓ وكيل الخرج: وهو مكلف بالأسلحة الداخلية والخارجية ومتصرف في شؤون الدولة العسكرية.
- ✓ الخزناجي: يعرف بوزير المالية.
- ✓ خوجة الخيل: لديه مهمتان تتمثل في مراقبة الحراس وإدارة أملاك الدولة.
- ✓ آغا العرب: قائد الفرقة الإنكشارية "الوجاق"*، وجماعات فرسان المخزن "الصبايحية" له مجموعة من المهام كمراقبة بعض المناطق.

أما بالحديث عن نظام الجيش فيتكون من العناصر الآتية:

- ✓ مشاة الأتراك: "الإنكشارية"*أو الوجاق وتقسم إلى كتائب وفرق ووحدات وفصائل.
- ✓ الفرسان: (الخيالة) تتكون من "الكراغلة"* وقبائل العرب.
- ✓ البحارة: وهم نخبة من العزاب (الزينطوط) يتكوّنون من ألف رجل فما فوق وأغلبهم من المسيحيين المعتنقين الدين الإسلامي.
- ✓ المدفعيون: هم الذين يقومون بتلقيم المدافع وإطلاق النار على العدو.

ميزانية الدولة ومواردها، كانت تتغذى وتنموا بالموارد التالية:

- ✓ بإعانة الباب العالي.
- ✓ بالضّرائب المجعولة على القبائل: الإعشار والزكوات واللزمة وضريبة العقار.
- ✓ بدخل كراء أراضي الدولة.[1]

[1] – ينظر: محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2،1981، ص35.

- ✓ بالهدايا التي يأتي بها البايات وتسمى"الدّنوش الكبير".
- ✓ بقدر معين يدفّه الأجانب.
- ✓ بالغنائم البحرية.[1]

طائفة الريّاس: وكانت هذه الطائفة لها حكم خاص فهي بمثابة نقابة لرُبّانية البحر، وحظيت هذه الفئة باحترام لدى الجمهور لأنها تحمي البلاد من الغزوات البحرية.

وخلاصة القول: إن التنظيم الإداري للدولة العثمانية في الجزائر عرف توافق وتسلسل في المناصب والرتب.

ثانيا: الحياة الثقافية:

إنه وبالحديث عن الثقافة هنا فمن البديهي أن ما سيتبادر إلى أذهاننا هو المفهوم العام الذي يرمي إلى مجموعة المعارف المكتسبة، أو السلوكيات الاجتماعية أو المعايير المميزة للبشر المتوارثة جيلا عن جيل عبر التعلم، لكننا نخص بالحديث لنوعين فقط من أنواع الثقافة ذلك بما تستوجبه دراستنا والّذين هما: الحركة الدينية والحركة الأدبية خلال الحكم العثماني في الجزائر.

"وقد عدت الحياة الثقافية والفكرية في تلك الفترة، فترة الركود والجفاف الفكري، فكانت تبدو وكأنها تكاد تلفظ أنفاسها الأخيرة، فالأتراك لم يعطوا لأمر الثقافة ما تستحقه من العناية والاهتمام اللّازمين لارتقاء المستوى الأدبي والفكري في البلاد، فكان بذلك الجانب الدّيني أكثر انتشارا من الجانب الأدبي".[2] "فقد دافع العثمانيون عن الدين الإسلامي وشجعوا تيّار التصوف وساهموا في بناء الزّوايا والمساجد والكتاتيب، فكأن نظرتهم إلى البلاد كانت

*وجاق: هي وحدة عسكرية عثمانية، كان يتألف من أفراد يطلق عليهم لفظ"الوجاقلية"

*الكراغلة: مجموعة اثنية لنسل المختلط نتيجة زواج من الرجال الأتراك ونساء شمال إفريقيا

*الإنكشارية: تأسست قوات الإنكشارية في عهد السلطان مراد الأول وهي مشاة وفرسان من النخبة من الجيش العثماني

[1] –ينظر: ابن ميمون الجزائري: التحفة المرضية، ص (36،40،42).

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص46.

تعبدية محضة وهي نظرة لم تستفد منها الثقافة على كل حال".[1] ولعل هذا التشظي الذي دام لفترات راجع لسبب آخر مهم، والمتمثل في أنّ الدولة الجزائرية التركية كانت أعجمية اللّسان لا تفقه شيئا من لغة العرب الأقحاح، الذين كانوا ينشدون الشعر ويتلذذون بروائعه ويغوصون في انزياحاته الجمالية، فكان رجالها أو حكامها رجال حرب لا يتقنون سوى لغة السّيف وقرع الزّناد أما اللغة العربية فقد كانت محض لغة الإسلام والدّين لا غير".[2]

وإن ما يثبت صحة هذه الفرضيات تلك المراكز الثقافية التي بيّنت قطعيا، بأن مظاهر الثقافة كانت تكاد تكون دينية محضة والمتمثلة في:

1. كتاتيب القرآن:

"وقد خصصت لاستظهار كتاب الله عز وجل، أو هي ما يتلقى فيه الطفل تعليمه الأول لكتابته على اللوح المصلصل والقلم القصبي".[3] "بالإضافة إلى تعليم بعض مبادئ الفقه، وبلغ عددها نحو عشرة آلاف كتاب يظم الواحد منها ما بين عشرين وثلاثين تلميذا ".[4] والتي عادة ما تكون مراكزها في المساجد والتي لا تقوم فيها الصلوات.

2. الزوايا:

والتي كانت تحتل المرتبة الأولى من بين مراكز الثقافة نظرا للاهتمام الكبير الذي أولاه الأتراك للمذهب الصوفي، وكان أيضا مهمّا لتعليم الفقراء والمعوزين، وانقسم إلى قسمين: قسم يقوم بتحفيظ القرآن الكريم، وقسم ثاني: يقوم بتدريس الفقهيات والعقائد وقواعد النحو وفنون البلاغة وبعض المبادئ في علم الفلك.[5]

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، 1988، ص18.

[2]– ينظر: ابن ميمون: التحفة المرضية، ص57.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص59.

[4]– يوسف العايب: أشكال الكتابة الأدبية في الجزائر العثمانية، مجلة البحوث والدراسات، العدد24، 2017، ص536.

[5]– ينظر: ابن ميمون: التحفة المرضية، ص60.

3. المكتبات:

"يمكن تقسيمها إلى عامّة وخاصّة، فأما العامّة فهي تلك المكتبات الملحقة بالمساجد والزّوايا والمدارس، التي كانت مفتوحة للطلبة وجميع القراء المسلمين، أما المكتبات الخاصّة فكثيرة وليس من السهل حصرها، واشتهرت بها العائلات ذات النفوذ دون غيرها كمكتبة عائلة الفكون بقسنطينة ولم تخرج هاته المكتبات عن طابعها الديني أيضا فكثرتها كانت كتب: التفاسير والقراءات والأحاديث النبوية وشروحاتها والفقه وأصول التوحيد.

4. المدارس:

اختصت بها مدن دون غيرها وهي المدن الرئيسية كالجزائر وبجاية وتلمسان وقسنطينة فقد كانت مراكز لطلب العلم وإلقاء الدروس فقط، على عكس الكتاتيب والزوايا التي كانت دور عبادة أيضا". [1]

بعد استعراضنا لمختلف المراكز الثقافية، يجدر بنا الإقرار بسيطرة الجانب الديني عامة وتيار التّصوف خاصّة على حساب الجانب الفكري الأدبي، "إذ لا غرابة في عدم تشجيع الأتراك للعلماء والشعراء، على الإنتاج في عصر كان فيه الإنتاج الأدبي والعلمي محصورا في بلاطات الحكام، الذين كانوا عجما بالأصل كما كان يفعل قبلهم أمراء بني زيان وبني حفص وغيرهم، ثم إنه لم تبن المعاهد العلمية ولا الجامعات التي كانت لتكون النّخبة من خيرة العلماء، وحتّى ولو تحدثنا عن وجودهم فقد كان معظمهم يرحلون لتلقي العلم خارج بلادهم وكثيرا ما كانوا لا يعودون أصلا".[2]

"أما بالعودة إلى الحديث عن النتاج الأدبي فنجده محصورا في بعض المدائح النبوية والمقطوعات الصوفية، ومرثيات بعض العلماء والقليل من الأشعار الغزلية والمقامات والأسجاع النثرية، وزيادة عن قلة الإنتاج فإنه لم يبلغ النضج العقلي والشعور الحي، وسعة

[1]– ينظر: ابن ميمون: التحفة المرضية، ص60.

[2]– ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص18.

الخيال، كان مضمونه يغلب عليه طابع التقليد الأعمى، رغم هذا فإن نتاجا أدبيا رائعا يستطيع أن يساير فن العصر وذوقه إلا أنه كان قليلا نادرا ويعد شاذا في نوعه".[1]

وكخلاصة لما سبق يمكننا القول: بأن الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني مشهد تختزله لحظة الإحتضار، لأن الأتراك لم يعرفوا عن بلاد الجزائر أكثر من كونها مزرعة يرسل خراجها إلى إسطنبول، فجُردوا من بقايا العلم والفن والأدب الذين كسبوهم على مر أحقاب طويلة، وقد انطفأت بذلك شعلة الأدب والتأليف ليقتصر التأليف على الجانب الديني في أغلبيته العظمى. وأصبح الشعر والنثر قشورا بلا لباب ودخلته، الألفاظ العامية التركية لتطغى على حساب ذلك الثّقافة الدينية، وشيوع تيّار التّصوف الذي ساهم هو الآخر بشكل كبير في غلق وتقليص عقلية الشعب الفكرية، وتجميدها فأدّى ذلك التصوف الخرافي إلى هذا الانحطاط الثقافي الذي شهدته الدولة آنذاك.

ونتيجة لكل هاته العوامل والظروف القاهرة التي أسهمت بتدهور حالة الثقافة والأدب بشكل عام، فقد فسح بذلك المجال للأدب الشعبي _ وخاصة الشعر الشعبي الديني _ بالظهور حتى عرف بعصره الذّهبي، فقد كان أهم وسيلة اتخذت كملجأ للتعبير عن حالة الشّعب النّفسية والاجتماعية، فجادت بذلك قرائح الشّعراء بأجود قصائد الشّعر الشعبي في تلك الفترة.

غير أن هذا كله لا ينفي عدم وجود أعمال واجتهادات من أدباء وشعراء قدموا أعمالا جليلة وإبداعات للأدب الجزائري في تلك الفترة، على الرغم من ضياع الكثير منها.

[1]– ينظر: ابن ميمون: التحفة المرضية، ص63.

الفصل الأول:

الشعر الجزائري في العهد العثماني وظواهره الفنية

"نماذج مختارة"

المبحث الأول: الشعر الديني

المبحث الثاني: الشعر السياسي

المبحث الثالث: الشعر الاجتماعي

المبحث الرابع: الشعر الشعبي

الظواهر الفنية في الشعر

تمهيد:

لقد عانى الشّعر في الفترة العثمانية من التّهميش والإهمال، ولم يصل منه إلاّ القليل فأغلب ما نظم قد ضاع أو لم يدون، ناهيك عن أنّ الأولوية الأولى كانت تحظى بها العلوم الدّينية على حساب الأدب، فكان معظم الشّعراء هم أنفسهم من الفقهاء والعلماء أمثال عبد الكريم الفكون، الأخضري وغيرهم. وعلى الرغم من هذا كله فالشّعراء الجزائريون، قد نظموا في مختلف الأغراض التي عهدوها وهي الشّعر الدّيني والشّعر السّياسي والاجتماعي والشّعبي وقد عمدنا على تسليط الضّوء على بعض النمّاذج من هذه الأغراض مع تحليلها فنيا لإبراز مكامن الجمال فيها، لنستطيع أن نعرف نسبيا كيف كانت طبيعة النّصوص الشّعرية في تلك الفترة فكريا وتأريخيا من ناحية توظيف مختلف أساليب الجمال والابداع الفني.

المبحث الأول: الشّعر الدّيني:

كان الشِّعر الديني من أهم وأشهر المواضيع الشّعرية التي شهدتها تلك الفترة، بسبب التيّار الدّيني الذي كان غالبا على الحياة الثقافية والاجتماعية للشّعب الجزائري آنذاك، فلا غرابة إذا في انعكاس ذلك على النّتاج الأدبي عامة والشّعري خاصّة، وبما أننا نؤرّخ لحقبة الوجود العثماني في الجزائر فنحن نربطه مباشرة بتيّار التّصوف الذي كان منتشرا بين العامّة والخاصّة، فاكتست بذلك معظم الأعمال الشّعرية بطابع التّصوف.

وسنبين ذلك من خلال بعض النّماذج الشّعرية التي تصب ضمن هذا الغرض.

1-التّصوف:

يعد شعر التّصوف من بين الأغراض الشّعرية التي كانت أكثر شيوعا من غيرها، وتعد المدائح النّبوية والمولديات ومدح ورثاء الأولياء الصالحين[1]وشيوخ التّصوف والزّهاد، كلها من الألوان التي أذاعها التّصوف، فنجده بذلك مسيطرا تقريبا كل السّيطرة على الحياة العلمية والأدبية والثقافية في الجزائر العثمانية لذلك سنجد هذه الظّاهرة أكثر انتشارا وإغراقا في القرون الثلاثة اللاحقة للعهد العثماني في الجزائر.[2]

وسنبرز ذلك من خلال مجموعة من القصائد التي تصب ضمن هذه الأغراض مستخرجين جوانبها الفنية ومؤرّخين في الوقت نفسه لحقبة مهمة من تاريخ الجزائر الأدبي.

وفي ذلك نظم الشّاعر عبد الرحمن الأخضري[3] قصيدة في آداب السّلوك في طريق سنّة المتصوفة، وهو ابن أربع وعشرين سنة والتي تحتوي على ستّة وأربعين وثلاثمئة (346)

---

[1]- ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص245.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص82.

[3]- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري، توفي سنة 1546 م (التحفة المرضية ص70).

التي يؤرخ لها أنه ألقاها سنة 944هـ والتي سنعرض مقطوعة منها، والتي يقول في مطلعها:[1]

يقول راجي رحمة المقتدر المذنب العبد الذّليل الأخضري

بحمد ربّ العالمين أبتدي ثم صلاته على محمد

إلى أن يقول:[2]

يا طالبا على كمال قدسه وقاصدا إلى علاج نفسه

والرّقص والصّراخ والتّصفيق عمدا بذكر الله لا يليق

وإنّما المطلوب في الأذكار الذّكر بالخشوع والوقار

فقد رأينا فرقة إن ذكروا تبدّعوا أو ربما قد كفروا

يبتدئ الشّاعر مطلع قصيدته متذلّلا متضرّعا لله عز وجل، حامدا إيّاه ومصليّا على نبيّه الكريم، ثم طالبا الله عز وجل تطهير نفسه وعلاجها من أدرانها وما علق بها من شوائب حسية ومعنوية، حيث نجده ينكر بشدة على أهل الصوفية المبتدعين، فنبذ طقوس الرّقص والتّصفيق والصّراخ أثناء ذكر الله، فالذّكر بالله لا يكون إلا عن طريق الخشوع وسكون النّفس وثباتها في طلبه عز وجل.

ونجد من الأساليب الفنية الواضحة في هذه المقطوعة التّصريع على غير العادة المتعارف عليها استعماله، فالشّاعر قد صرّع في غير مطلع القصيدة وسبب ذلك هو انتقاله

[1]– جمال بن عمار الأحمر: موسوعة تاريخ شعراء الجزائر في العهد العثماني، ج3، ط1، دار الأيتام للنشر والتوزيع عمان الأردن،2016، ص25.

[2]– المرجع نفسه، ص 26.

من غرض إلى غرض آخر، إذا شاء حكمه أو عظة وغير ذلك وهذا شائع في الشّعر على مر الأدب.[1]

حيث نجد التّصريع في البيت الثالث في:[2]

يا طالبا علا كمال قدسه وقاصدا إلى علاج نفسه

فقد وظّف الشّاعر التّصريع في كلمتي (قدسه، نفسه) ليتكرّر بنفس الطريقة على باقي الأبيات مع اختلاف حرف الرّوي في كل بيت، وذلك من خلال الكلمات (تصفيق، يليق) (أذكار، وقّار)، (ذكروا، كفروا) لينتج عن هذا التّصريع تجانس صوتي يجعل القارئ يتمتع بكل شطر يقرأه، لينتج عنه في نفس الوقت أسلوب جمالي آخر الذي يتمثل في الجناس الناقص في كل من (تصفيق، يليق)، (أذكار، وقار) (ذكروا، كفروا) وهو ما يسمى بالجناس التّصديري وهو نسخة للتصريع فنلاحظ أنها حاصلة في نهاية كل شطر، فخّلف ذلك تماثلا تجانسيا يتحسّسه البصر قبل السمع مضفيا عليه قيمة فنية وجمالية تضاف هي الأخرى إلى الميزات الإيقاعية الموسيقية الأخرى.

2-المدائح النّبوية والمولديات:

تعد المدائح النّبوية والمولديات من أقدم الأغراض الشّعرية، وقد ساهمت بشكل كبير في إثراء الشّعر الجزائري القديم، وقد اقتضت الحاجة الدّينية الاهتمام بهذا النّوع الشّعري، كون الرسول صلّى الله عليه وسلّم يعد نموذجا يحتذى به في كل نواحي الحياة.

فالمدائح النّبوية كما يعرفها زكي مبارك: "هي لون من ألوان التّعبير عن العواطف الدّينية، وباب من الأدب الرفيع لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"[3].

[1]- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تحقيق: عبد الحميد محمد محيي الدين، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1955، ط2، ص175.

[2]- جمال بن عمار الأحمر: موسوعة تاريخ شعراء الجزائر في العهد العثماني، ص25.

[3]- زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، دار المحجة البيضاء، د ط، د ت، ص17.

كما أن موضوعها ينصّب على مدح النبي صلّى الله عليه وسلّم بتعداد صفاته والإشادة بأخلاقه والتوسّل إليه وإظهار الشّوق لرؤيته.

أما المولديات فهي: "نوع من المديح النبوي تعنى بيوم مولده، ولذلك فإن المولدية تستمد تسميتها من ذكرى مولد النبي، والتي من أجلها نظمت أبياتها وتتضمن قصائدها مدح النبي ومدح السلطان، والشوق والحنين إلى الأراضي المقدسة".[1]

وبذلك نستنتج أن الفرق بين المدائح النّبوية والمولديات يكمن في كون أن القصائد المدحية تقال في كل مقام وزمان، على عكس القصائد المولدية التي ترتبط فقط بيوم مولده صلّى الله عليه وسلّم والاحتفال به لكنهما قد تجتمعان في القصيدة الواحدة.

وقد قيل من الشّعر الكثير في المدائح والمولديات خلال العهد العثماني خاصة في رحلة ابن عمّار[2].

الذي ذكر فيها قصيدة للمنجلاتي [3] يقول فيها:[4]

الرّكب نحو الحبيب قد سارا يودّ شوقا إليه لو طارا

قلبي للمعنى الكئيب قد حنا إلى التّلاقي وطال ما انا

إذا سمعت الحمام قد غنا أو هبّ ذاك النسيم أبكارا

كم أنت عن ركب مكّة ساهى في شغل دنياك وإله لاهى

[1]– جميلة معتوق: المولديات النبوية في المديح النبوي الجزائري القديم وسماتها الفنية، مجلة رفوف جامعة أدرار، عدد1 سبتمبر 2018، ص197،198.

[2]– الحاج أحمد بن عمار الجزائري كان مفتيا سنة 1771م ولم يعرف بالضبط زمن وفاته. (التحفة المرضية ص67).

[3]– هو أبو العباس أحمد المانجلاتي: شاعر وفقيه عاش في أواخر القرن العشر وأوائل القرن الحادي عشر الهجريين اشتهر بنظم شعري المولديات(جمال سعادنة: رسالة دكتوراه الشعر الجزائري في العهد العثماني، ص32).

[4]– ابن عمار: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة بوبتانة، الجزائر، 1903، ص31.

يعرب الشاعر في مقطع هذه القصيدة عن حنينه واشتياقه لزيارة أرض الحجاز، منبت النّبي المصطفى عليه أفضل الصّلاة والسّلام، بعد أن طال غيابه عنها وألهته مشاغل الدنيا عن العودة إلى ذلك المقام المقدّس الزّكي.

أما فيما يخص مواطن الجمال والتّلاعب بالألفاظ التي وظّفها الشاعر في هذه الأبيات نجد أسلوب التّصريع، الذي يعد سنّة من سنن القدماء التي يستهلون بها قصائدهم، وهو ما استوت فيه قافية ووزن آخر عجز البيت الأوّل مع قافية ووزن آخر صدره نحو:[1]

الرّكب نحو الحبيب قد سارا يودّ شوقا إليه لو طارا

ويكرّر الشّاعر التّصريع في ثنايا القصيدة بعد ثلاثة أبيات في:[2]

كم أنت عن ركب مكّة ساهى في شغل دنياك إليه لاهى

فقد اعتنى الشّاعر باختيار التّصريع في مطلع القصيدة ليكرّره مرّة ثانية فيزيد من الجماليات الإيقاعية للقصيدة بسبب ذلك الأثر الموسيقي النّاجم عن تلك الأصوات حين تتشابه فيحظى بذلك السّامع أو القارئ بالمتعة.

ويمدح المقري[3] أيضا سيدنا وشفيعنا محمد صلّى الله عليه وسلّم خير الأنام قائلا:[4]

إن كنت تسأل قد ر محمّد بين الأنام

إلى أن يقول:[5]

---

[1]– ابن عمار: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، ص31.

[2]– المرجع نفسه، ص31.

[3]– ابو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد المقري القريشي. (1632م.1578م)، التحفة المرضية ص67.

[4]– المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، 1988 ص56.

[5]– المرجع نفسه، ص56.

وله المعجزات والآي تبدو لا يغطي وجوههن لثام

فمن المعجزات أن سار ليلا وجميع الأنام فيه نيام

راكبا للبراق حتى أتى القد س وفيه رسل الإله الكرام

فاستووا خلفه صفوفا وقالو صلّ يا محمد فأنت الإمام

فعليه من ربّه صلوات زاكيات مع صحبه وسلام

يبين الشّاعر من خلال مقاطع هذه الأبيات القدر الأعظم والأسمى الذي يحتله النبي الكريم عند الله عز وجل، واصفا معجزة الإسراء وكيف صلّى بالأنبياء وكان إماما عليهم.

وفي توظيفه الأساليب الفنية الجمالية، نجد التّناص الديني حاضرا بقوّة في هذه الأبيات كقوله:[1]

فمن المعجزات أن سار ليلا وجميع الأنام فيه نيام

راكبا للبراق حتى أتى القد س وفيه رسل الإله الكرام

فالبيتين متعلقين بقوله تعالى: **"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"**.[2]

فقد حرص الشّاعر على الاقتباس من النّص القرآني الذي يعد من أهم الوسائل المنتجة للدلالات، فهو كلام الله المعجز يستعمله الشّاعر ليعكس شعوره الصادق في مدحه لسيدنا محمد عليه أفضل الصّلاة والسّلام فاستدعاءه للنص القرآني كان من أجل وصفه لمعجزة من معجزاته صلّى الله عليه وسلّم الإسراء والمعراج لتعبّر بذلك هذه المقطوعة عن القداسة التي تحملها في طياتها.

[4] – المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص56.

[1] – سورة الإسراء، الأية1.

ويقول المنجلاتي في نفس قصيدته يصف فيها مولد النبي قائلا [1]:

أهلا به فقد أقبل خيره لا يزال مكثارا

فالحمد لله جاءت البشرى لأمته شرفت به قدرا

عمن سواها به حوت فخرا صارت بخير الأنام اخيارا

قرّت بميلاده لنا العينان في يومه البيت مال والأركان

والفرس أيضا خبت لهم نيران لما رأت للنبي أنوارا

والنور شرقا ومغربا قد لاح وهاتف الجن باسمه قد باح

يستهل الشّاعر قوله في هذه المقطوعة مرحبا بقدوم خير البشر مقبلا ومعه خيره وبركته ويشيد بمولده المعظم معبرا عن فرحته الغامرة، واصفا إرهاصات يوم مولده صلّى الله عليه وسلّم، فقد خمدت نار فارس التي كانوا يعبدونها والتي لم تخمد قبل ذلك بألف عام. ولاح النّور من مشرق الأرض إلى مغربها معجزة من الله عز وجل لعظمة هذا اليوم الذي ولد فيه خير خلق الأنام، ونجد الشّاعر قد استخدم من الأساليب الفنية الجمالية أسلوب التّصريع، في البيت الرّابع في قوله:[2]

قرّت بميلاده لنا العينان في يومه البيت مال والأركان

كما نجد توظيفه في نفس البيت للون من ألوان البيان والمجاز، المتمثل في الكناية في قوله: "قرّت بميلاده لنا العينان"، فهذه الصورة هي كناية عن الفرح وعن ما يصادف المرء به سرورا فلا تطمح العينان إلى ما سواه وهذا ما يعكس صدق حب الشّاعر للنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، كما تنم عن براعة الشّاعر في التصوير.

[1]- ابن عمار: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، ص32 .

[2]- المرجع نفسه، ص32.

ويقول ابن عمّار في قصيدة موشحة متوسلا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم:[1]

يا رسول الله يا هادي السّبيل من لأوطاري

يا شفيع الخلق يا غوث الدّخيل من لأوزاري

أنت ذخري واعتمادي والدّليل لرضى الباري

تبين هذه المقطوعة مناجاة ذلك العبد الذّليل المضطر المحتاج المثقل بالذنوب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم راجيا شفاعته وإحسانه ورضاه.

ونجد أسلوب النّداء من الأساليب التي وظفها الشّاعر في هذه المقطوعة، باستخدامه أداة النّداء "يا" ظاهرة في البيتين الأول والثاني نحو:[2]

يا رسول الله يا هادي السبيل من لأوطاري

يا شفيع الخلق يا غوث الدّخيل من لأوزاري

فقد أتى هذا النداء متعلقا بالتوسل والتضرع مرجاة في نيل رضا الحبيب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وطلب شفاعته، ليجسد من خلاله صدق الشّاعر في نقله لأحاسيسه ويجسد معها رغبته الشديدة والملحة في الاستجابة من طرف المنادى (الرسول صلّى الله عليه وسلّم)، ليساهم بذلك هذا النّداء في إضفاء قيمة جمالية للأبيات من خلال تكوين الشّاعر لجمل بارعة تتساوى فيها براعة النظم مع روعة التصوير، خاصة مع تتابعه مرتين في البيت الثاني يا شفيع، يا غوث، ومما زاد من روعة هذا التشكيل هو اقتران أسلوب النّداء بأسلوب الاستفهام في قوله من لأوطاري، من لأوزاري.

[1]– ابن عمار: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، ص26.

[2]– المرجع نفسه، ص26.

المبحث الثاني: الشّعر السّياسي:

لم ينتشر هذا النّوع من المواضيع الشّعرية في الجزائر خلال العهد العثماني ذلك الانتشار الواسع الذي عرفه في فترات سابقة، وكما قلنا سابقا فالأمراء لم يكن لهم اهتمام بالشّعر ولا تذوقه والاستمتاع به ناهيك عن كون أغلبهم أعاجما، فأدى ذلك بالضّرورة إلى عدم التّشجيع على قوله، غير أن هذا لا ينفي عدم وجوده مطلقا فقد كانت بعض الأشعار تنظم في مناسبات محدودة نستطيع حصرها في: الجهاد ضد الإسبان، أو مدح بعض الأمراء طمعا في مالهم وعلى غير ذلك وجد من ذمهم أيضا[1]

وقد كان معظم العلماء يتنافسون على زرع الفتن والوشاية للتقرب إلى الولاّة، فابتعدوا بذلك عن الكلمة المكتوبة نثرا أو شعرا، ونستثني من هذا الحكم شعراء محمد بكداش[2] باشا وشعراء الباي محمد الكبير الذين وجدوا في ممدوحيهم إرادة خيّرة في إكرامهم والإنعام عليهم".[3]

ومن الأغراض التي نظم عليها الشّعراء في موضوع الشّعر السّياسي نجد:

1-المدح:

عمد شعراء تلك الفترة على نظمهم الشّعر في الإشادة بمناقب رجال الدّولة الجزائرية وذكر خصالهم النبيلة وتعداد الصّفات الحميدة التي يتحلون بها، وإعلاء شأنهم بذكر بطولاتهم وتهنأتهم بانتصاراتهم الجليلة التي حققوها ضد العدو الغاشم.

ومن ذلك ما كتبه ابراهيم القنيلي في مدح محمد بكداش فيقول:[4]

خمْرنَا لفظُنَا بأحْلَى حديثٍ في مديحِ الأميرِ قُطْبِ الزَّمانِ

[1]- ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص254.

[2]- تولى منصب الداي على الجزائر سنة 1707 وتوفي مغتالا سنة 1710 على يد الداي إبراهيم أغا.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص254.

[4]- ابن ميمون: التحفة المرضية، صّ162.

اسمُهُ محمَّدَ بَكْدَاشْ لُقِّبْ معدنُ الفَضْلِ زائدُ العِرْفانِ

الإمَامُ الهُمَامُ مَنْ فاضَ بحْراً من علومِ الحديثِ والقرآنِ

جاهدٌ فاضِلٌ نسِيبٌ شريفٌ أجهدُ الجاهِدينَ للوَهْراني

ذو حياءٍ وعفةٍ وسخاءٍ ووفاءٍ وصدقٍ نطقِ اللِّسانِ

لو تراهُ وقَد بَدا كقضيبٍ عَمَّهُ الحُسْنُ عاطرُ الأَرْدانِ

فالشّاعر هنا في مقاطع هذه الأبيات يصرّح لفظا بقصده في مدح محمد بكداش بذكر اسمه المحرّر الأول لمدينة وهران ليثني عليه، واصفا إياه بالكرم والشجاعة الذي ينحدر من معدن طيب ونسب طاهر، كما يشيد بثقافته الدّينية الواسعة وإلمامه بعلوم الحديث والقرآن، كما نعته أيضا بالحياء والعفة والسخاء لتجتمع فيه كل الخصال الحميدة، التي جعلته أهلا للمنصب الذي يحتله وجعلته مستحقا حب الناس له.

وكمحاولة منا لاستدراج بعض الأساليب الفنية الجمالية التي تحملها مقاطع هذه الأبيات نجد الشّاعر في البيت الثاني يوظف أسلوب الكناية فيقول:[1]

الإمام الهمام من فاض بحرا من علوم الحديث والقرآن

فجملة "فاض بحرا" استعارة تصريحية حيث حذف المشبه (بكداش) وصرح بالمشبه به (البحر) فاستعان الشاعر بلغة المجاز هنا، ليبيّن مدى سعة علم ممدوحه ومدى تشبّعه بالثّقافة الدّينية.

ليوظّف في البيت الرّابع التّشبيه:[2]

لو تراه وقد بدا كقضيب عمّه الحسن عاطر الأردان

[1]– ابن ميمون: التحفة المرضية، ص162.

[2]– المرجع نفسه، ص162.

فالشّاعر هنا يصف مظهر ممدوحه ويشبّهه بغصن شجرة مثمرة في هيئته، ذو رائحة عطرة منتشرة في الأرجاء ليبيّن نظافة بدنه ولباسه.

2-الحث على الجهاد:

احتل الإسبان مدينة وهران منذ مائتين وخمسة أعوام واستوطنوها حتى طغى ظلمهم واستبدادهم واشتّد بطشهم عليهم وتفاقم على المسلمين ضرهم، حتّى ذاقوا بهم ذرعا،[1] وكان الشّعراء ينظمون قصائدهم في الحث على الجهاد ضدهم محرّضين الحكام على استرداد المدينة، ليستردّ معها الإسلام وكرامة المسلمين، وفي هذا الصدد يقول الشاعر ابن آقوجيل[2] في مطلع من قصيدته يدعوا فيها الحاكم بكداش لتحرير وهران:[3]

إن تنصروا الله العظيم جلاله ينصركم وهو الأعزّ نصير

إن الإمام العدل في سبع لهم ظل الإله بيوم نفخ الصّور

إلى أن يقول:[4]

ولتَلتفتْ نحْو الجهادِ بقوَّةٍ والكفرَ اقْطَعْ أَصْلَهُ بِذُكُورِ

جَهِّزْ جُيوشاً كالأُسُودِ وسرِّحَنْ تِلكَ الجَواري في عُبابِ بُحورِ

أَضْرِمْ على الكُفَّارِ نارَ الحَرْبِ لا تَقْلَعْ ولا تُهْمِلْهُمُ بِفُتورِ

وبِغَرْبِنا (وهرانُ) ضِرْسٌ مُؤْلِمٌ سَهْلُ اقْتِلاعٍ في اعْتِناءِ يَسِيرِ

---

[1]- ينظر: ابن ميمون: التحفة المرضية، ص162.

[2]- محمد بن علي المعروف أقوجيل الجزائري توفي سنة 1667م.

[3]- ابن ميمون: التحفة المرضية، ص207.

[4]- المرجع نفسه، ص207.

يدعوا الشّاعر من خلال هذه المقطوعة الحاكم بكداش للنهوض بالهمم وتجهيز العدّة والعتاد، للجهاد ضد الكفار الإسبانيين، ويشعل فيهم نار الحرب لإعلاء راية الإسلام في سماء مدينة وهران مجدّدا، مندّدا بأن اقتلاعها من أيدي أولئك الكفّار شيء يسير.

وفي تخيُّر الشاعر للأساليب الفنية ومواطن الجمال في هذه المقطوعة، نجده يوظف التّناص الدّيني في البيت الثّاني قائلا:[1]

إن الإمام العدل في سبع لهم ظل الإله بيوم نفخ الصّور

فهو إذا متعلق بقوله تعالى: **"وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ".**[2] ففي قوله تعالى: "يوم ينفخ في الصور". قيل: "هو يوم الفصل كان أجلا لما وعدناه هؤلاء القوم ".[3] وتناص هذه الآية مع البيت الشعري في كون الشاعر اقتبس من هذه الآية العظيمة ليبيّن لبكداش، أن الإمام إذا كان عادلا أمينا فسيبقى الله مؤيّده في يوم الحشر يوم تبيض وجوه وتسوّد وجوه وعند توالي الأبيات نجد الشاعر يحسن في توظيفه للتشبيه في قوله:[4]

جهّز جيوشا كالأسود وسرّحن تلك الجواري في عباب بحورا

فالتشبيه هنا جاء مجملا حيث ذكرت الأداة دون وجه الشبه، ومن خلاله يصف لنا الشاعر مواصفات الجنود الذين على الحاكم تجهيزهم والذين يجب عليهم أن يتمتعوا بالبسالة والشجاعة في ساحات الحرب والقوة مثلما التي تتمتع بها الأسود أثناء صيدها لفرائسها.

[1]– ابن ميمون: التحفة المرضية، ص207.

[2]– سورة النبأ، الآية18.

[3]– الطبري: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، مجلد1، مؤسسة الرسالة، ط1،1994، ص443.

[4]– ابن ميمون: التحفة المرضية، ص207.

3-فتح وهران:

كما نظم الشّعراء قصائد في الحث على الجهاد لفتح مدينة وهران، فإنهم أيضا نظموا أثناء فتحها، فرحا بهذا الحدث الجليل فتلك القصائد تؤرخ لأحداث مهمة في تاريخ الجزائر في تلك الفترة، فكانت تعد بمثابة وثائق تاريخية كبرى، ومنها ما كتبها الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الثغيري الذي كتب قصيدة عن فتح مدينة وهران مادحا فيها محمد بكداش الذي يعتبر المحرّر الأوّل لها يقول فيها:[1]

الحمد لله الذي قد فتحا وهران عن أيدي الرجال الصّلحا

وقهر القوم اللئّام الفجره ورفع الإسلام فوق الكفّرة

إلى أن يقول:[2]

أخذها الكفّار بالثّبات فيما رويناه عن الثّقات

سنة أربع وعشرة مضت من بعد تسعمائة قد كملت

فمائتان مع خمسة سنين عدد مكثها بأيدي الشركين

إلى أن يقول:[3]

ففتحت سنة تسعة عشر ومائة من بعد ألف تعتبر

يبيّن الشّاعر من خلال هذه الأبيات حادثة النّصر المبين الذي حقّقه الدّاي محمد بكداش، بفتحه مدينة وهران سنة 1119هـ الموافق ل 1708م وانتزاعها من الإسبانيين الكفرة الفجرة، بعد أن دام احتلالهم لها مائتين وخمسة أعوام أي أنها بقيت تحت السيطرة منذ سنة 914هـ، فيوثّق الشّاعر تلك الأحداث المهمة التي تشكل جزءا من تاريخ الجزائر المجيد،

[1]- ابن ميمون: التحفة المرضية، ص234.

[2]- المرجع نفسه، ص234.

[3]- المرجع نفسه، ص234.

لينسج أبياتها مستعملا لغة وأسلوبا جماليا ممّا استخدمه من جزالة في الألفاظ، كما عمد إلى اختيار التّصريع كوسيلة لتزيين شعره فوظّفه في مطلع القصيدة على نهج القدماء:[1]

الحمد لله الذي قد فتحا وهران على أيدي الرجال الصّلحا

كما نجده يوظّفه على باقي الأبيات في قوله: (الثّبات، الثقات)، (مضت، كملت) (سنين، المشركين) وهو ما يسمى بالتّصريع البديعي الذي ينتج عنه تجانس صوتي وتناغم موسيقي يجعل القارئ يستمتع أثناء القراءة.

4-الهجاء السّياسي:

كما عرِف على الشّعراء والعلماء في العهد العثماني ولائهم لحكامهم ومحاولتهم التقرب منهم بمدحهم والثناء عليهم، فقد كان على نقيض ذلك فئة من الناقمين عليهم نظموا القصائد في ذمهم وهجائهم ولم يقتصر ذلك عليهم فقط، فقد هجى بعضهم حتى الكفّار.

" ولقد كان الناقمون من العلماء والشّعراء على الحكم العثماني في الجزائر كثيرون نتيجة لما عانوه من ظلم واضطهاد جعل أغلبهم يضطر للهجرة ليستقّر في المغرب، إلا أنه لم يبلغ عنهم أنهم نشروا أو تعرضوا لمثالب الأتراك، باستثناء العالم الأديب أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي الذي عاش في بلاط الملوك العلويين ليفسَح له المجال للتعبير بحرية في اتّهام الحكام الأتراك، مع من والاهم بتهم شنيعة".[2]

يقول فيها[3]:

أمن قادر بالله يحمي تلمسانا فإن بها من قوم يأجوج إخوانا

بنى السدّ ذو القرنين للنّاس رحمة فيا ليته من شوكة الترك هنّانا

[1]- ابن ميمون: التحفة المرضية، ص234.

[2]- ينظر: أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص58.59.

[3]- المرجع نفسه، ص59.

سمعنا حديثا صادق النقل ربه بأن لجنس التّرك في الأرض إخوانا

ولكن وراء السّد عمّ فسادهم وهم أفسدوا في الغرب كفرا تلمسانا

يهجوا المنداسي في هذه المقطوعة الأتراك، مشبها إياهم بيأجوج ومأجوج المفسدون في الأرض، ويطلب رجلا صالحا كذو القرنين لينقذهم من بطشهم وظلمهم بعد ما قدموه من صورة بريئة عن أنفسهم في كونهم إخوانا للجزائريين، لكن هذا كله كان مجرد خداع يظلّلون به الشعب لخدمة مصالحهم الشخصية.

وقد وظف الشاعر أسلوب التّصريع في مطلع قصيدته:[1]

أمن قادر بالله يحمي تلمسانا فإن بها من قوم يأجوج إخوانا

فالتّشاكل واضح في عروض كل من عجز البيت الأول مع صدره (تلمسانا، إخوانا) مشكلا بذلك القيمة الجمالية التي عهدها تصريع مطلع القصائد في الشعر العربي.

فيما نجد الشاعر يضمّن التناص القرآني في كل من يأجوج وذو القرنين فيما معنى قوله تعالى: **"قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا"**.[2]

5-هجاء الكفار:

على عكس ما نظمه المنداسي نجد ابن سحنون يغدق في هجاء الكفّار "الذين جاؤوا مدينة وهران عام 1189م وخرجوا إلى البر قرب وادي الحراش، إلى القتال يوم السّبت العاشر من جمادى الأولى إلا أنهم ولّوا على أدبارهم وهزِموا هزيمة نكراء، قتل فيها منهم نحو الثمانية آلاف وجرح أكثر من ثلاثة آلاف فلم يجدوا من بدّ لهم غير طلبهم الصلح والهدنة بكف الأمير عنهم شهرا كاملا وكان ذلك يوم الخامس والعشرين من أبريل،

[1]- ينظر: أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص59.

[2]- سورة الكهف، الآية 94.

ليوافق الأمير على طلبهم، وأمر سائر المجاهدين و الطّلبة بعدم التعرّض لهم إلا أنهم لم يوفوا بعهدهم قبل تمام الأجل، وخانوا العهد وكانوا عازمين على الغدر بالطّلبة، إلاّ أنّ الله جعل مكرهم في نحرهم فحاق بهم مكرهم".[1]

فيقول ابن سحنون فيهم:[2]

ثم انثنى يبدي لهم إبليس غواية في ضمنها تلبيس

فنقضوا العقد وخانوا العهد واستمطروا من البلاء عهدا

توثقا بنصرة الشّيطان وما أراهم من الأشطان

وقوّة الطاغية الممقوت إن زاد في مددهم والقوت

إلى أن يقول:[3]

وإنّما الطّاغية القوّي بزعمهم عبد له غوي

إن أرسل الذباب لم يكَد يدفعه عن نفسه ولم يكِد

فالشّاعر هنا يصف كيف أغوى إبليس الكفرة لينقضوا العهد الذي أقاموه ليفتحوا على أنفسهم أبواب البلاء، والهلاك ليبيّن أنّ مكرهم ارتدّ عليهم فدمّرهم به الله.

أما عن الأساليب الفنية التي تحملها هذه المقطوعة في طياتها، نجده يوظّف التّصريع في مطلعها في قوله:[4]

ثم انثنى يبدي لهم إبليس غواية في ضمنها تلبيس

[1]– ينظر: احمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص277،273،263.

[2]– المرجع نفسه، ص278.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص278.

[4]– المرجع نفسه، ص278.

فقد تمثّل التّصريع في كلمتي (إبليس، تلبيس)، ليكرّر الشّاعر التّصريع في باقي أبيات القصيدة (العهد، عهدا)، (الشيطان، الأشطان)، (الممقوت، القوت)، (القوي، الغوي)، (لم يكَد لم يكِد)، فاستخدام التّصريع في مطلع القصائد كان ذا أهمية بالغة عند القدماء، لما يتركه من حلاوة وأثر في النفوس فما بالك بابن سحنون الذي وظّفه بالتواتر على جل الأبيات.

ليؤكّد بذلك القيمة الموسيقية للتّصريع، والأثر الذي يتركه في النّفوس فهو أشبه بترديدك أنغاما على إيقاع آلة موسيقية.

كما نجد كثرة توظيفه للجناس، كالجناس الناقص المضارع في لفظتي (إبليس، تلبيس) (العقد، العهد)، (الشيطان، أشطان)، (القوي، الغوي) وسمي بالمضارع لتقارب مخارج حروف اللفظتين، مع اختلاف فهمهما في نوع الحروف فيكون بذلك هذا التّماثل الصّوتي قد أحدث تناغما مميّزا، وكان له أثر سَميّ لإثارة المتلقي.

أما الجناس التّام فنجده في كلمتي (يكَد، يكِد) فهو اتفاق اللفظتين في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها مع اختلاف في المعنى، فمعنى كلمة يَكَدْ تعني أوشك أو قارب على الحصول أما معنى كلمة يَكِدْ فتعني المكر والخداع، وتماثلت أيضا الكلمتين في نوع الكلمة من حيث كونهما فعلين.

المبحث الثالث: الشّعر الاجتماعي:

وهو الذي تضمنه شعر الإخوانيات آنذاك الذي يرسله العلماء لبعضهم البعض، في مناسبات معينة كان يعكس الأوضاع العامة للمجتمع الجزائري في العهد العثماني والتي تميزت بمظاهر الفقر والحرمان والاستحواذ على السلطة، غير أن هذا المجتمع من المعروف عنه أنه منغلق على نفسه تعتريه مشاعر القسوة،[1]وغير مستقر في هذه المرحلة، وتتضمن الكتب التي تتحدث عن الحياة الاجتماعية: الفقر والعوز وهي أكبر صورة ساهمت في انصراف السّكان عن تذوق الشّعر، ذلك أنهم يكدّون من أجل لقمة العيش لذلك كان الشّعر الاجتماعي في مجمله ينحصر في غرضي الرثاء والمدح.[2]

1-الرّثاء:

بالرغم من قلّة الرّثاء في الجزائر في العهد العثماني، الذي يقال في الأقارب والأصدقاء والشيوخ إلا أنه يعتبر أصدق في التعبير خال من النفاق، يعبّر عن مشاعر الحزن والأسى إزاء الفقد، فالشّعر قالب نفسي يصب فيه الشاعر أحاسيسه ومشاعره فالفراق يسبب شعورا كبيرا بالفراغ الذي يخلّفه الميت بين أقاربه وذويه، وهو امتداد لما هو مألوف قديما من معاني البكاء على الميت وتعداد محاسنه. وسنحاول إبراز هذا الغرض في مجموعة من القصائد والتّأريخ لها، فهو وسيلة تدّل على مدى إجلال الشعراء للمَرثي نظرا لمكانته فها هي قصيدة للشّاعر عبد الكريم الفكون يرثي بها على البهلولي المعروف بالمجاجي، وهو من العلماء الصلحاء من أهل القرن الحادي عشر لعب دورا هاما في الجهاد ضد الإسبان حيث كانت له زاوية عظيمة للعلم والجهاد وافتداء الأسرى، لكنه مات موتة غامضة مقتولا حوالي سنة 1008م.[3]

---

[1]- ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص270.

[2]- ينظر: ابن ميمون: التحفة المرضية، ص57.

[3]-عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط1، 1987،1408، ص225.

ويظهر الرّثاء في قوله: [1]

اعينيَّ جودا بالبكاء واْنضبّا شؤوناً بماءٍ طال ما جاد وابلُه

لخلٍّ أكَنَّتْهُ الصّفاحُ وأقفرتْ معالمه من بعده ومنازله

يظهر الشاعر في هذه الأبيات تحسره وحزنه في مطلع القصيدة، لأن الأمة فقدت عالما نبراسا، ونجد أنّه ضمن في قصيدته مجموعة من الظواهر الفنية التي تدل على رفعة الإحساس، وجمال الذوق حيث وظف أساليب إنشائية كالنّداء وأسلوب التّعجب. ويظهر ذلك في قوله:[2]

اعينيَّ جودا بالبكاء واْنضبّا شؤوناً بماءٍ طال ما جاد وابلُه

ففي هذا البيت وظّف نداءا غير حقيقي وهو نداء للقريب وجهه الشاعر لعينيه لكي لا تتوقف عن البكاء وغالبا ما تبدأ القصائد الرثائية بطلب البكاء من العين على فراق الميت منذ القدم ليظهر الشاعر مشاعر الحزن المفجع الذي أصابه، كقصيدة الخنساء في رثائها لأخيها صخر حيث تبدأ ب" أعيني جودا".

إلى أن يقول أيضا في موضع آخر:[3]

أبا حسنٍ أسهدتَ ناظرَ مُقلتيّ ونعْيُك حقاً أَجْرَضَتْني بلابله

حيث ينادي فقيده ليخبره ما فعل به فقدانه، وكيف ألّم به الألم من شدة البكاء وقلّ نومه فهو في حالة يرثى لها.

إلى أن يقول[4]:

[1]– عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، ص226.

[2]– المرجع نفسه، ص226.

[3]– المرجع نفسه، ص226.

[4]– المرجع نفسه، ص226.

فيا قلب صبراً عن مُصابِك إنّما البقاء لحيٍّ لا شبيهُ يماثله

فهو ينادي قلبه الجريح باستخدام حرف النداء "يا" ليذكره أنّ البقاء لله وحده، فهو ضرب من المواسات لنفسه وقد كثّف من توظيف صيغ النداء ليعبر عن نفَسِه الطويل في هذا المصاب الجلل الذي حل به وبالأمة جمعاء.

ثمّ يوظّف أسلوبا آخر هو أسلوب التّعجب في الأبيات التالية:[1]

فيا عجبا للشمس كيف شروقها وقد عَدِمَتْ وجهاً تبدَّت شمائله

ويا عجبا للبدر كيف ضياؤه وقد غاب في بطن الثّرى من ينازله

وهو تعجب سماعي وظّفه الشّاعر ليعبّر عن تحسره وخبايا نفسه، فهو من شدّة حزنه يتعجب كيف للشمس أن تشرق وكيف للبدر أن يضيء في غياب هذا العالم وإضافة إلى أنه وظّف أسلوب التّعجب وظّف التكرار من خلال لفظتي "يا عجبا" وهو يعدّ من أبرز الظّواهر الفنية فتكرار الكلام يعكس ما يخالج نفسيّة الشّاعر ويعتري وجدانه من الم الفقد.

وإذا أمعنّا النّظر في قصائد أخرى من نفس الغرض نجد قصيدة رثاء ابن سحنون للشيخ الطّاهر بن حواء أسد الحروب، ذو الكمال الباهر الذي مات أول ليلة من جمادى الأولى حيث فُقِدت بفقده محاسن الأخلاق وعُدم معه الحياء وبكته العيون الجامدة والقرائح الخامدة حيث يقول موظّفا أسلوب النّداء كالآتي:[2]

يا زمان فراقه أنت عندي وقت حزن وحيرة في جنان

إلى أن يقول:[3]

يا ابن حواء إن جفني قريح عنك مفتتن وأي افتتان

[1]– عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، ص226.

[2]– أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص246.

[3]– المرجع نفسه، ص246.

ونلاحظ أن الشاعر استخدم أداة النداء "يا" مناديا الزّمان في البيت الأول، حيث يربط زمان موت شيخه بالحزن والأسى إلى أن ينادي روحه، بقوله: "يا ابن حواء" ليخبره بأن البكاء لازمه إلى أن جرحت جفونه، حيث وظف النداء للدلالة على مكانة الشيخ الرفيعة أما بالحديث عن جمالية توظيف هذا الأسلوب فتكمن في التعبير عن بركان متأجج من الآهات المنبعثة من صدر مهموم، إلى أن يوظف أسلوب الاستفهام فالحيرة سيطرت عليه كيف يمكنه تجاوز مصابه هذا، فهو فقد شخصا له مكانة مميزة فيقول:[1]

أو يمكنني التّصبر عمن ليس عن وصفه يطيق اللسان؟

حيث أن هذا البيت صور ردة فعل الشّاعر على فقيده.

وكما هو شائع منذ القدم أن غرض الرثاء يعدد فيه الشّاعر محاسن فقيده، وقد استعان ابن سحنون في ذلك بالتكرار لتأكيد على أن الطّاهر ابن حواء له سمعة جيدة جعلته يقول عنه أنه كالصفحة البيضاء لا يشوبها شيء، حيث يعبر عن ذلك كالاتي:[2]

طاهر طاهر الصحيفة والعر ض نقيهما من الأدران

ونتحسس من خلال مرثية ابن سحنون أنه لا يستطيع الصبر فهو ملازم للبكاء أما إذا تمعنا في أبيات عبد الكريم الفكون فنجد أنه رغم المصاب الجلل الذي حل به، إلا أنه سلم بأن البقاء لله الواحد الأحد والتزم الصبر حيث يقول [3]:

فيا قلب صبرا عن مصابك إنما البقاء لحي لا شبيه يماثله

وهنا توظيف لتناص ديني في صدر البيت لقوله تعالى[4]: "**يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ** "، أما في العجز فيضمن

[1]– أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص246.

[2]– عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف من إدعى العلم والولاية، ص226.

[3]– المرجع نفسه، ص226.

[4]– سورة لقمان، الأية17.

قوله تعالى[1]: "وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيراً" وهنا تناص معنوي لآياته سبحانه وتعالى.

وكما اهتم الشّاعر بالوازع الدّيني فإنه لم يغفل كذلك عن جانب جمالي مهم، في تشكيله للقصيدة بحيث يحدث نغما موسيقيا تطرب له الأذن، ليثير نفس سامعه وذلك من خلال توظيف ظاهرة الجناس حيث يقول:[2]

اعيني جودا بالبكاء وانضبا شؤونا بماء طال ما جاد وابله

وهو جناس ناقص نوعه مضارع بين كلمتي "جودا" و "ما جاد"، حيث أن الكلمة الأولى تعني المطر الغزير أما الثانية فتعني ما أصاب.

إلى أيقول أيضا:[3]

لخل أكنته الصّفاح وأقفرت معالمه من بعده ومنازله

وهنا وظف الشّاعر جناسا ناقصا ايضا، بين لفظتي "معالمه" و"منازله" فالكلمة الأولى تعني أثاره ومخلفاته أما الثانية فتعني أماكنه.

ليوظفه ابن سحنون في قوله:[4]

وسقاني نقيض ما قد سقته الحور حين ارتوى بأحمر قان

إلى أن يقول:[5]

يا ابن حواء إن جفني قريح عنك مفتتن وأي افتتان

[1]– سورة الفرقان، الاية58.

[2]– عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف من إدعى العلم والولاية، ص226.

[3]– المرجع نفسه، ص226.

[4]– ابن سحنون: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص246.

[5]– ابن سحنون: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص246.

حيث وظف الجناس في البيت الأول بين كلمتي "سقاني" و"سقته"، أما في البيت الثاني فهو بين كلمتي "مفتتن" و"افتتان".

2-المدح:

بالنسبة لغرض المدح في الشّعر الاجتماعي فيظهر من خلال العلاقات الشخصية التي تكون بين الإخوان العلماء والأدباء، وتعمل على تحريك نفسية الشّاعر ليعبر عن ذلك من خلال الشّعر ويصب فيه مشاعره وأحاسيسه. ويختص هذا الغرض بمدح العلماء والأدباء اعترافا بفضلهم، فالعلماء لهم دور مهم في رقي الأمم وازدهارها لقوله تعالى:[1] **" أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ"**. فقد أشاد بهم حتى الإسلام وصرح بمكانتهم المهمة، حيث عُرف شعراء تلك الفترة بتمجيد العلم والعلماء فعبروا عن برهم بأساتذتهم وإبراز قدرهم وعظيم منزلتهم، فهو غرض بارز في العهد العثماني ومن نماذج مدح العلماء نجد قصيدة ابن حمادوش[2] لمدح أحمد بن المبارك حين التقى به وكتب له هذه القصيدة يقول فيها:[3]

أيا شيخنا شيخ البرية كلها أسيد أحمد المبارك في الدهري

علوت على أعلى ذرى المجد رفعة فكنت في أوج العز كالكوكب الدري

وكنت نسيج وحدك اليوم في العدى ومن أين للإسلام مثلك كالنيري

---

[1]- سورة الزمر، الآية 10.

[2]- هو أبو محمد عبد الرزاق بن محمد بن أحمد بن حمادوش بن علي المالكي الجزائري ولد بالجزائر سنة 1695م أما تاريخ الوفاة فغير معلوم.

[3]- ابن حمادوش الجزائري: رحلة ابن حمادوش الجزائري، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،1983، 83.

حيث أحسن الثناء في هذا المقطع على شيخه أحمد المبارك معبرا عن إعجابه بشخصية ممدوحه متأثرا بفضائله ومأثره فهاجت قريحته ووصفه بأنه كالكوكب المضيء الذي ينير الأرجاء بنور علمه.

أما بالحديث عن الظواهر الفنية التي اعتمد عليها الشاعر في نسج قصيدته نجد التّناص القرآني فهو أحد أهم مصادر إلهام الشّعراء، لما له من تأثير في الوجدان حيث يقول الشاعر:[1]

علوت على أعلا ذرى المجد رفعة فكنت في أوج العز كالكوكب الدري

ويتضح من خلال هذا البيت أن الشاعر وظف تناصا لفظيا في تشكيل تجربته الإبداعية، من خلال قوله تعالى: " **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ** ".[2] فالشّاعر يرى بأن أحمد بن المبارك رجل عظيم ذو قيمة بلغ أعلا المراتب فهو ينير بشعاع علمه الأرجاء، وهو تناص لفظي لأن هذه الصفة لله عز وجل فهو الذي نوره ينير الكون بأكمله.

ثم نتطرق إلى قصيدة أخرى من قصائد الشّعراء الجزائريين في العهد العثماني فها هو القوجيلي يمدح أبا الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري في قوله:[3]

إلى أن أتى هذا الزّمان بعالم قويّ يفك الصّعب في أسهل الفك

يقرره بالعقل والنقل ناجزا وينفي عن الأوهام داعية الشّك

[1]- ابن حمادوش الجزائري: رحلة ابن حمادوش الجزائري، ص83.

[2]- سورة النور، الآية 35.

[3]- جمال بن عمار الأحمر: تاريخ شعراء الجزائر، ص (66.67).

وإن تختبر منن يدعي فهمه تجد قويهم في الفهم في أضعف النهك

فهو في هذه الأبيات يمدح شيخه الأنصاري، حيث يرى الشّاعر بأن له من العلم ما يمكنه من فك أصعب الأمور وكذا قطع الشّك باليقين في أي أمر، موظفا في هذه الأبيات ظاهرة الجناس بكثرة وذلك بين لفظتي يفك والفك في البيت الأول وهو جناس تام مستوفي تتشابه فيه اللفظتان، ولكن يفك فعل وكلمة الفك اسم. أما بالنسبة للبيت الثاني فهو جناس ناقص نوعه مضارع بين لفظتي العقل والنقل حيث اختلفت اللفظتان في حرف من الحروف وكذلك بين لفظتي فهمه والفهم في البيت الأخير ولا تزال باقي القصيدة تعج بمختلف أنواع الجناس، محدثة بذلك نغمة موسيقية تطرب لها أذن السامع.

ومن الجماليات التي يلجأ إليها الشّعراء في نظمهم للشّعر ظاهرة الانزياح أو كما تعرف بالخروج عن المألوف ومنه الاستعارة حيث نجد ابن حمادوش يقول:[1]

وقد صار كل ديك يصرخ وحده ودعوته تحكي مسيلمة الشري

فالديك لا يصرخ إنما هذه الصّفة في الإنسان فهي استعارة مكنية حذف فيها المشبه به الإنسان وأبقى على المشبه، كما وظف تشبيها تمثيليا في قوله:[2]

علوت على اعلا ذرى المجد رفعة فكنت في أوج العز كالكوكب الدري

فقد شبه ممدوحه بالكوكب الدري.

[1]– ابن حمادوش: رحلة ابن حمادوش الجزائري، ص83.

[2]– المرجع نفسه، ص83.

المبحث الرابع: الشّعر الشّعبي:

لقد راج الشّعر الشّعبي في ذلك العصر نتيجة جهل الحكام وإبعاد اللغة العربية عن شؤون الإدارة فنجد أن الذين يمثلون الأدب الفني قلة وسط من يمثلون الأدب الشّعبي، ويعرف الأدب الشّعبي بأنه أدب يساعد في فهم ظروف الشعب ولغتهم وعلاقتهم بالحكام، وكذا فهو يسجل الحوادث السّياسية والعسكرية وأيضا الاقتصادية والاجتماعية في البلاد فهو يدون ما يجري في جميع المستويات بصدق تام[1]. وقد شحذت قرائح الكتاب الجزائريين في العهد العثماني نتيجة الأحداث التي مرت بها البلاد، إثر الاحتلال الإسباني فدونوا شعرا باللهجة العامية مسجلين به أهم الأحداث التي مرت عليهم في طريقهم للجهاد وهو من اهم الأغراض في الشّعر الشّعبي فها هو الشّاعر لخضر بن خلوف في هذه الأبيات يتحدث عن التذكير بمعركة مزغران التي تقع غرب مدينة مستغانم ودارت هذه المعركة بين النصراني الكونت دالكوديت وبين حسن بن خير الدين بربروس يؤرخ لها سنة 965هـ، وقد دامت ثلاثة أيام وكانت الهزيمة فيها شنعاء للنصارى وتطرق في قصيدته إلى حادثتين مهمتين: تتمثل الأولى في اعتبار الشّاعر هذه المعركة أخذا بثأر غرناطة أما الحادثة الثّانية فكانت إشادته بحسن باشا و العثمانيين، حيث يؤكد أن الجهاد كان مشتركا بين العثمانيين و السكان[2] ويقول معبرا عن الحادثة الأولى[3] :

الأمير حسن يوم مزغران اخلف الثأر من العدو تحقيق

ترى البهجة روضة البلدان غرناوط إلى امسات حريق

حيث أنه لم ينس ذكر هذه المأساة ويرى في هذا الانتصار رد اعتبار لغرناطة والشاعر يدعو الأمير إلى خلف الثأر من العدو.

[1]– ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص311.

[2]– ينظر: أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص26.

[3]– المرجع نفسه، ص 31.

أما الحادثة الثّانية التي تحدث عن أحداثها في قصيدته فهي كالآتي[1]:

ظل يسير بعساكره والقوم في وطن متيجة أولج الما

في أمره جات العرب أطموم سلطان عادل طاعته الأمة

فهذين البيتين يعبران كيف أنّ السّلطان تعاون مع العرب لمواجهة الغزو وقام بمدحه في قوله سلطان عادل.

وقد وظف الشّاعر مجموعة من الظواهر الفنية في قصيدته حيث يقول في مطلعها:[2]

يا سايلني عن طراد الروم قصة مزغران معلومة

يا سايلني كيف ذا القصة ما بين النصراني وخير الدين

إلى أن يقول[3]:

البارح يقول جات الروم يافرساني غاولوا أنتما

وتتمثل هذه الظواهر في توظيف أسلوب النّداء باستخدام الحرف "يا" فهو يوجه ندائه لمجهول يسأل عن أحداث ومجريات الحرب، ثم يوجه ندائه لفرسانه ليجذب انتباههم ليسرعوا في مواجهة العدو ونظرا لأنه نوع في الأساليب الإنشائية تطرق إلى توظيف أسلوب الأمر أيضا في قوله[4]:

اركب فارس اسبق ودنا بالتعريف يبشر السلطان

حيث أنه يأمر بإخبار السّلطان بسرعة قدوم العدو لاتخاذ الإجراءات اللازمة.

[1]– ينظر: أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص29.

[2]– المرجع نفسه، ص28.

[3]– المرجع نفسه، ص29.

[4]– المرجع نفسه، ص29.

وها هو ابن السويكت في قصيدة أخرى يتحدث عن قصة تمرد بعض القبائل على الأتراك وعلى رأسهم أهل السويد، حيث رفضوا الخضوع لسلطانهم وقيل إن هذه الثورات دامت قرنين وقد انتشرت ظواهر التّمرد بكثرة في العهد العثماني حيث يقول[1]:

احنا أهل الشنا واحنا اللي طايغين أحنا أهل الطبل والعلام والصولة

ربعين باي قبلك قعدت أمر شقين ربعة والعشرين شاو مقتلة

أداكم الطمع في أمطافل أمتمقين أسويد ما يطيعوا الترك قتالة

وقد وظف أسلوب الأمر في قوله كالآتي:[2]

الباي جالهم بجنود طيعوا ياسويد الوكحة

حيث يوجه الباي أمرا صريحا للسويد بأن يخضعوا للحكم العثماني ويطيعوه باستخدام أسلوب الأمر من خلال كلمة "طيعوا".

أما بالحديث عن معركة مزغران فقد اكتست صبغة دينية ذلك أنها تهدف لمحاربة أعداء الإسلام، فنجد الشّاعر وظف أسماء شخصيات دينية وكذا ضمن آيات قرآنية حيث يقول الأكحل بن خلوف كالآتي:[3]

من لا ضره الله لا ينضر لو طاحت الأرقاب منصورة

حيث ضمن الشاعر في هذا البيت تناصا دينيا معنويا، من سورة البقرة الآية 102 لقوله تعالى[4]: **"وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ**

[1]– أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص40.

[2]– المرجع نفسه، ص40.

[3]– المرجع نفسه، ص29.

[4]– سورة البقرة، الآية102.

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ". ذلك أن من ينصره الله لا يلحقه ضرر من أي مخلوق على وجه الأرض من خلال قوله تعالى"وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ".

ويقول أيضا في بيت أخر:[1]

ارفع راسك يا علي المفهوم يا سيد الحسنين وفطيمة

إلى أن يقول:[2]

قالوا للأمير لا تليان لا دين إلا دين محمد

فقد وظف الشاعر شخصيات دينية كالصحابي علي، وال البيت أبناءه وزوجته بنت الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم وهذا دلالة على تشبعه بالثقافة الدّينية.

ليوظف في موضع أخر الجناس بين كلمتي "لا ضره" و"لا ينظر". وهو جناس ناقص في البيت الاتي[3]:

من لا ضره الله لا ينظر لو طاحت الأرقاب منصورة

ونفس الخاصية الفنية تم توظيفها من قبل الشّاعر ابن السويكت في قصيدة التمرد على الأتراك حيث يقول:[4]

جازوا أو جوزوا في أيامهم ساعدين واجميع من قصد أدا بلا قلة

ونوع الجناس هنا ناقص أيضا بين كلمتي "جازوا" و "جوزوا".

[1]– أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص28.

[2]– المرجع نفسه، ص29.

[3]– المرجع نفسه، ص29.

[4]– المرجع نفسه، ص40.

ووظف كذلك الطباق لإبراز المعنى وتقويته وإيضاحه وكذا لإثارة الانتباه عن طريق ذكر الشيء وضده. بين الصبح والمسا وكذا الشرق والغرب حيث يقول:[1]

خيمة من أخبا وبنود متقابلين من الصبح للمسا كل يوم مقتلة

ثم إن من أبرز الأغراض الضرورية في الشّعر التي تعطي أداء فعالا هي الاستعارة لما تضفيه على الكلام حيث يقول الشّاعر لخضر بن خلوف:[2]

صبحوا في المنا أعداء الدين ترى سفون الروم محترصة

وهي استعارة مكنية تدل على حذر النصرانيين في سيرهم وتخطيطهم، حيث أنه حذف المشبه به وهو الإنسان وذكر المشبه وهو السفن أما وجه الشبه فيكمن في الإحتراص وبالاستعارة يتوصل الشاعر لتزيين اللفظ.

دراسة اللغة الشّعرية:

يختلف ويتميز الشّعر الشّعبي عن الشّعر الفصيح، ذلك أن له مميزات خاصة به من ناحية اللغة، التركيب والخصائص حيث إن الشّاعر الذي يخوض غمار الشّعر الشّعبي يلجأ في توظيفه للكلمات إلى حذف وزيادة أو إبدال بعض الحروف بحروف أخرى، لتتطبع بطابع عامي ويبدوا ذلك واضحا في شعر الشّاعر لخضر بن خلوف حيث حذف الهمزة في بعض الكلمات ويظهر ذلك في الأبيات الأتية:[3]

وانجلوا من فوق وجه الما خرجولك للبر خرج الشوم

[1]– أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص39.

[2]– المرجع نفسه، ص28.

[3]– المرجع نفسه، ص29.

حيث إن كلمة الما في الأصل هي الماء وإنما تعرضت لقصر الممدود، وهي ضرورة شعرية يلجأ لها الشّاعر حفاظا على الوزن الشّعري أحيانا وأحيانا أخرى لأن كلامه باللغة العامية.

وينطبق هذا الكلام على شعر ابن السويكت حيث يحذف الهمزة أيضا في كلمة جا التي أصلها جاء فيقول:[1]

جا بالعراج بيده يالمستحيين احنا أسويد وأهل النقار بالجملة.

ثم ننتقل لدراسة غرض أخر مع الشّاعر لخضر بن خلوف وهو مدح سيد الخلق والأنام الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم حيث يقول:[2]

صبري على النبي محمد خير الأنام صبر البّشاشر الرضاع الصبياني

يا عالي النسب لا تنسى المداح تكلوا على الله المولى وعليك

في كل أرض درت عليك البراح محمد الشريف درت عليك البراح

إلى أن يقول:[3]

نوري للمومنين علمي على أخر الزمان فيما يأتي ويروح

حيث يمدح الشّاعر بن خلوف الرسول صلّى الله عليه وسلّم ناظما قصيدته بلغة الشّعر الشّعبي، التي تتخللها اللغة العامية ليعبر عن شوقه له كشوق الأم لرضيعها المنتظر فهو خير الأنام المبشر، ويستغل هذه الكلمات التي يمدح بها الرسول صلّى الله عليه وسلّم ليتقرب منه طمعا في أن ينال شفاعته فهو يتكل على الله أولا في الأخرة وبعده خير الأنام

[1]– أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص40.

[2]– حمزة بوزيان: تشكيلات التعدد اللغوي والعامية في شعر لخضر بن خلوف، مجلة(الكلم)، جامعة أحمد بن بلة وهران1 العدد1، التاريخ 2019/04/01، ص123.

[3]– المرجع نفسه، ص123.

ليتنبأ بعدها في قصيدته بما سيؤول إليه الزمن مستقبلا مستوح ذلك من الرسالة المحمدية موظفا بعض الظواهر الفّنية الجمالية، حيث يوظف في مطلع القصيدة جناس ناقص مطرف، بين لفظتي صبري وصبر حيث إن الحرف الناقص في أخر الكلمة وذلك في قوله:[1]

صبري على النبي محمد خير الأنام صبر البشاشر الرضاع الصبياني

إلى أن يوظف النداء باستخدام الأداة "يا" بقوله يا عالي النسب مخاطبا، إياه لكي لا ينسى أن يشفع له يوم القيامة لكونه يحظى بمكانة رفيعة ومقام محمود، مرورا إلى توظيف الطباق الإيجاب بين يأتي ويروح لكي يجذب انتباه القارئ ويقوي المعنى من خلال التضّاد قائلا:[2]

نوري للمومنين علمي على أخر الزمان فيما يأتي ويروح

ثم يقول في قصيدة أخرى يذكر فيها مواضيع شتى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اقتبسها من تنبؤات محمدية بشر بها الهادي صلّى الله عليه وسلّم عن أزمنة متلاحقة من بعده حيث يقول الشّاعر:[3]

كلام المومنين دفلى وكلام الفاسقين مقبول فيه القوت

ولا أنت خوجة كتاب عند الدولة خصلك جايز عند الناس

لا أنت خاين قبضوا عليك لخيانة باعوك بقيمة ربعين سلطاني

حيث وظف في مطلع القصيدة تكرارا من خلال كلمتي كلام وكلام، وذلك ليؤكد على المعنى ثم في قوله أيضا ولا أنت في البيتين الثاني والثالث إلى أن يوظف الجناس الناقص في قوله خيانة وخاين.

[1]– حمزة بوزيان: تشكيلات التعدد اللغوي والعامية في شعر لخضر بن خلوف، ص123.

[2]– المرجع نفسه، ص 124.

[3]– المرجع نفسه، ص125.

وخلاصة القول في هذا الفصل: نظم الشّعراء الجزائريون في الفترة العثمانية في العديد من الأغراض ناهجين بذلك نهج القدامى حيث حفلت دواوينهم بالشّعر الدّيني، خاصة المديح النبوي لمدح خير الأنام محمد صلّى الله عليه وسلّم وكذا المولديات وشعر التصوف، لأن الرائج في تلك الفترة اهتمامهم بعلوم الشريعة فالشّعراء كانوا ذوي ثقافة وتكوين ديني كالشّاعر عبد الرحمن الأخضري، المنجلاتي، المقري وابن عمّار. أما الأغراض السّياسة فقد كانت من أهم ما تطرق له الشّعراء في تلك الفترة، كإبراهيم القنيلي، ابن آقوجيل، الثغيري، عبد الله المنداسي، وابن سحنون حيث نظموا أشعارا في مدح الملوك، الحث على الجهاد فتح وهران هجاء الكفار وقد اتسم شعرهم بالحضور المكثف للمعجم الديني والقرآني الذي أثرى تجربتهم الإبداعية معبرين بذلك عن أهم الأحداث التي مرت بها هذه الفترة .كما نظم كل من عبد الكريم الفكون ابن سحنون، ابن حمادوش والقوجيلي في الشعر الاجتماعي الذي من أهم أغراضه مدح ورثاء العلماء والشيوخ فقد ظهروا كفئة متميزة في العهد العثماني نالت القسط الوافر من المدح لاتسام العصر بظاهرة تمجيد العلماء، أما الشعر الشعبي فقد كشف العديد من الجوانب في البلاد في هذا العهد صورها الشعراء في شكل قصائد، منهم ابن سحنون والحاج لخضر الخلوف.

الظواهر الفّنية في الشّعر:

لقد تميز الشّعر الجزائري في العهد العثماني بتنوع أساليبه وخصائصه الفنية، مثلما تميز به الشّعر العربي القديم.

1. التّصريع: لقد سار الشّعراء الجزائريون في العهد العثماني على نهج القدماء في توظيفهم أسلوب التّصريع بكثرة، فجاء بصفة عفوية بعيدا عن التكلف كما لم يقتصر توظيفه على مطالع القصائد فحسب كما هو مألوف في نظم الشّعر بل امتد إلى ثناياها ليلفت انتباه المتلقي وليسهل ترسيخه في الذهن فيحفظ سريعا، لذلك نجد معظم الشّعراء قد ضمنوا هذه السمة الجمالية في شعرهم.

2. المحسنات اللفظية: لقد وظف الشّعراء في قصائدهم الكم الوفير من علم البديع، خاصة الجناس بكل أنواعه تقريبا، وقد أضفى ذلك على الشّعر قيمة التمازج والتفاعل بين القيمة الصوتية، والقيمة الدلالية له وكان للشّعراء بذلك حسن التوظيف وبراعة التصوير لهذا اللون البديعي، بما في ذلك توظيف الطباق الذي يساهم هو الآخر تقريب الصورة للقارئ، وكما يحدث تشابه وتجانس الكلمات التناغم، كذلك يحدث مع المتضادات فالانتقال من كلمة إلى ضدها يحدث ذلك الأثر في نفوس متلقيه.
3. التّناص الديني: يعد التّناص القرآني تحديدا من أهم الرّوافد التي استقى منه شعراء تلك الفترة أشعارهم فجاء فيها عفويا بما اقتضته طبيعة المواضيع وأغراضها، ليضفي على النصوص دلالة جمالية تزيد من قوة التركيب، وتسمو بالمعنى المراد إيصاله.

الفصل الثاني

النثر الجزائري في العهد العثماني وظواهره الفنية

"نماذج مختارة"

المبحث الأول: الرسالة

المبحث الثاني: فن المقامة:

المبحث الثالث: الرحلات

المبحث الرابع: الكرامات والعجائبية

تمهيد:

كما عانى الشّعر من الضّياع والإهمال في الفترة العثمانية، فكذلك هو الحال بالنّسبة للنثر في تلك الفترة فقد كتب الأدباء الجزائريون، في جميع فنون النثر المعروفة التي عهدوها وأبدعوا في أنواعها المختلفة من رسالة ومقامة ورحلة وكرامة وغيرها...، التي لم يعثر على أغلبها وطال بعضها التهريب، إلاّ أننا حاولنا اختيار نماذج من هذه الفنون سعيا منا لإماطة اللثام عن بعض منها لدراستها فنيا وإبراز مكامن الجمال فيها.

المبحث الأول: الرّسالة:

أولا: تعريف الرّسالة اصطلاحا:

كتابة الإنشاء فالمراد بها كلّ ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام، وترتيب المعاني وكذلك فكتابة الإنشاء تشتمل على البيان الدّال على لطائف المعاني التي هي زبد الأفكار وجواهر الألفاظ، التي هي حلية الألسنة وفيها يتنافس أصحاب المناصب الخطيرة والمنازل الجليلة أكثر من تنافسهم في الدرّ والجوهر ومنها ما تستلزمه كتابة الإنشاء من زيادة العلم وغزارة الفضيلة، وذكاء القريحة وجودة الرؤية. لما يحتاج إليه من التّصرف في المعاني المتداولة والعبارة عنها بألفاظ غير الألفاظ التي عبّر بها من سبق إلى استعمالها مع حفظ صورتها وتأديتها إلى حقائقها، وفي ذلك من المشّقة مالا خفاء فيه على من مارس الصّناعة خصوصا إذا طلب الزّيادة والعلو على من تقدّمه في استعمالها أو حذا حذو رسوم المبرزين الذين ينتحلون الكلام، ويوقعونه مواقعه مع مراعات رشاقة اللفظ و حلاوة المعنى وبلاغته ومناسبته مع ما يحتاجه من اختراع المعاني الابكار للأمور الحادثة، التي لم يقع مثلها ولا سبق سابق إلى كتابتها لأن الحوادث والوقائع لا تتناهى و لاتقف عند حد.[1]

وقد احتلت الرّسائل في كل عصر حيزا كبيرا من اهتمام الأدباء، وتحديدا خلال العهد العثماني نجدها لا تختلف عن نظيراتها في العصور الأخرى، وترتبط قلتها وكثرتها بمزاج الأديب وعلاقاته الاجتماعية لكونها لعبت دورا مهما في جانب التّواصل، غير أنها عرفت ركودا في هذه الفترة بسبب عدم فهم اللّغة العربية. وتنقسم الرّسائل في الفترة العثمانية إلى نوعين رسائل ديوانية ورسائل إخوانية[2].

[1]– ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة،1340 هـ1922م، ص (54.55).

[2]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ص197.

1- الرّسائل الدّيوانية:

هي تلك الكتب الصادرة عن ديوان الإنشاء متضمّنة غرضا محددا، يكون فيها اسم السلطان أو ما ينوب عنه صريحا او ما يشير عليه باعتبارها صادرة عنه، وبأمره كما تتضمن اسم المرسل إليه صريحا باعتباره المقصود بهذه الرّسالة ولابد من كتابة تاريخ الرّسالة وعلامة السلطان عليها، وتعد الرّسائل الدّيوانية مصادر قيّمة تؤرّخ للدولة وتبين علاقة الحاكم بالمحكوم والعلاقات الاجتماعية وعلاقة الدّول بالدّول الأخرى كونها وثائق رسمية صادرة عنها وتختص بها، فهي تبين حال الدّولة في الدّاخل وسياستها الخارجية وهي بذلك من أهم المصادر وافضلها التي يرجع لها المؤرخون.[1] ونجد العهد العثماني سيطرت فيه اللّغة التّركية على الإدارة في الجزائر ذلك ما أدّى إلى ندرة الرّسائل العربية وأضرّت بها إضرارا شديدا وحرمتها من ميدان هي به أولى، لذلك لا نجد من الرّسائل الدّيوانية العربيّة إلاّ القليل.[2]

أ. رسالة يوسف باشا إلى الشّيخ محمد ساسي البوني:

كتبت هذه الرّسالة بتاريخ أوليات ذي الحجة الحرام سنة 1050 حيث أخبره فيها أنه كان عازما على الجهاد ضدّ الإسبان في وهران، ولكنه عدل عن ذلك لوقوع الثّورة شرق الجزائر ولأن الحكمة كما قال تقتضي تقديم الأهّم على المهم، وأنه قرّر التّوجه شخصيّا إلى قسنطينة وبسكرة وضواحيها لإخماد نيران الثّورة وتَفقُّد أحوال الرّعية وقد ركزّ على إبراز دور العلماء في هذا الظّرف.[3]

---

[1]- حسين جدوع الهروط عبد الحليم: الرّسائل الدّيوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، رسالة ماجستير في اللّغة العربية وآدابها، في كلية الدّراسات العليا في الجامعة الأردنية، ص25.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ص198.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تجارب في أدب الرّحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص50.

حيث يقول[1]:"هذا والمراد إعلامكم أنّا كنّا أولاّ برَمنا عقد العزم على الجهاد لوهران واستخلاصها من أيدي حزب الشّيطان، وإنقاذها من ورطة الكفر والظّلال وإنارتها بنور الإيمان والإسلام وصالح الأعمال، حتى عرض لنا ما حال بيننا وبين هذا الغرض وصدّ وجوه عزائمنا عن إزالة ذلك المرض وهو ما لا يخفاكم من انحلال أمور المسلمين بذلك الصقع وكثرة الخلاف...".

ولما يمتاز به النثر من تركيب رصين وجزالة في الألفاظ وكذا تنويع في توظيف ضروب البديع فقد تضمّنت هذه الرّسالة السّجع، الذي يوصف بأنه وسيلة تعبيرية عن العواطف يعطي قوّة ووضوحا في تراكيب الجمل" وهو تواطئ الفاصلتين من النّثر على حرف واحد".[2] حيث يقول: "وإنما فعلوا ذلك ليلا لينزعوا يدا من طاعة، أو يخرجوا قيد شبر من السّنة والجماعة ولا يشاقوا الله ورسوله لمنازعة سلطان، ومعاونة على إثم وعدوان". حيث يتجلى السّجع في الفواصل الأتية: (طاعة، الجماعة، سلطان، عدوان)

إلى أن يقول أيضا:[3] "... لإمعان النّظر في مصالح الرّعايا، وإخماد نيران الفتنة ورفع البلايا، وسماع الشكوى، والقضاء بما تحتويه أحكام التّقوى، وتوفيق الكلمة، وجمع الأمة المسلمة". ويظهر السّجع كالاتي: (الرعايا، البلايا، الشكوى، التقوى، الكلمة، المسلمة) ويبقى نص الرّسالة مليئا بهذا الضّرب من البديع.

ونظرا لأن هذا النّص يزخر بالعديد من الخصائص الفنيّة نقف عند ظاهرة الجناس حيث يقول:[4] "فجرّدنا العزم بحسب ما اقتضاه الحزم بعد أعمال سنتي الاستخارة والاستشارة".

---

[1]- المرجع نفسه، ص 54.

[2]- عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب بالجاميز، القاهرة، ط5، ج4 1993، ص92.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تجارب في أدب الرّحلة، ص54.

[4]- المرجع نفسه، ص54.

فلفظتي الاستخارة والاستشارة تعتبر جناسا ناقصا ونوعه مضارع حيث أنهما يختلفان في حرف من الحروف، فالاستخارة هي تلك الصلاة التي يطلب فيها العبد الخيرة من الله عز وجل أما الاستشارة فتكون في طلب الخيرة من البشر.

إلى أن يقول[1]:"... رضي الله عنهم، ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون، ولو كان الخطاب مع غيركم لهديناه الي منقول، وألقينا له حجج المعقول والمنقول."

وهنا جناس ناقص مضارع أيضا بين لفظتي المعقول والمنقول ووظّف غيرها في رسالته الكثير.

ونجد أن كتاب ذلك العهد معظمهم تكتسي كتاباتهم صبغة دينية من خلال العودة إلى المعجم القرآني، للقدرة على التأثير حيث يقول يوسف باشا موظّفا سورة الأحزاب من خلال قوله تعالى[2]: **"لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً"**. وذلك في قوله:[3]"...فردوا شاردهم إلى الله بالدّعاء والدّعوة، ولكم في نبيّكم صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه أسوة". ومعنى ذلك أنه يوصيهم بالاقتداء بالرسول صلّى الله عليه وسلّم وكذا بالصّحابة لنحصد خيرا في حياتنا.

وكذا تضمين للآية 21 من سورة المجادلة نقلا حرفيا من خلال قوله تعالى:[4] **".. لَّا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءهُمْ أَوَ أَبْنَآءهُمْ أَوِ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"**. حيث يقول يوسف

[1]– أبو القاسم سعد الله: تجارب في أدب الرّحلة، ص54.

[2]– سورة الأحزاب، الآية21.

[3]– أبو القاسم سعد الله: تجارب في أدب الرّحلة، ص50.

[4]– سورة المجادلة، الأية21.

باشا في رسالته:[1]" رضى الله عنهم، ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون".

ثم يوظّف ظاهرة فنية أخرى وهي الطّباق في قوله: "...ومحو مراسمها وتشييد قواعد البغي والتّسويلات الشّيطانية وإيضاح معالمها وتنكير المعارف وتعريف المنكرات". وهنا طباق إيجاب بين كلمتي تنكير وتعريف وظّفه لإبراز المعنى.

2-الرّسائل الإخوانية:

وتطلق على جميع الرّسائل غير الدّيوانية بين الأصدقاء والأحبّاء تعبّر عن أمور الحياة كالتّهنئة والتّعزية والشّوق وكذا الحنين[2].

أ. رسالتي محمد بن محمد القالي إلى محمد بكداش وعبد الكريم بن الفكون إلى شهاب الدّين أبي العباس أحمد المقري:

لقد تعددت وتميّزت موضوعات الرّسائل الإخوانية في العهد العثماني فها هي رسالة محمد بن محمد القالي إلى محمد بكداش، يشكو له حاله ويطلب منه الإعانة والعطايا كما قام بمدحه ليصل إلى قلبه ويحصل على مبتغاه، وهو الذي جعل الباشا بكداش يخصّص له خراجا ليعالج به داء النكبات.

حيث يتجلى المدح في قوله:[3] "فإن الله تعالى منّ على المسلمين بسيّدنا ومولانا سلطان الملوك، والأكابر المخصوص بأفضل الشّمائل والمآثر، الإمام العادل، السّلطان الفاضل، العالم العامل، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، الذي أطلعه الله في سماء الجلالة بدرا، ورفع له في درجات الأمراء قدرا، وأجرى له على ألسنة الخلق ثناء جميلا وذكرا". حيث امتدحه بعدله وعلمه ودينه بأحسن العبارات كونه محبوبا عند أفراد الأمّة

[1]- أبو القاسم سعد الله: تجارب في أدب الرّحلة، ص56.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ص198.

[3]- المرجع نفسه، ص196.

جمعاء. فقد كان الأدباء يؤثرون سادتهم بما ينتجون ليغدقوا عليهم ويحيطوهم بالعناية والرّعاية إلى أن يقول طالبا العطاء: "...وهو نصره الله أجل من استعين به فكان خير معين وأعطي مفاتيح اليمن فتلقاها باليمين وأفضل من امتثل قوله صلّى الله عليه وسلّم: "...من فرّج على أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا فرّج الله عليه كربة من كرب الأخرة".

وقد نسج عبارات رسالته بأسلوب بسيط موظّفا مجموعة من الظّواهر الفنيّة، المختلفة حسب ما تُسعف به قريحته حيث نجد محمد القالي، وظّف ظاهرة السّجع بكثرة ومثال ذلك قوله:[1] "...حمدا لله أجمل ما تزينت به الطّروس وتجملت به الأسطار، وثناؤه جلّ جلاله أفضل ما لهجت به النّفوس وعمرت به الأفكار، وهو القديم الذي لا تغيّره الحوادث ولا تلحقه الأغيار ولا تحيط به العقول ولا تدركه الأبصار". حيث ائتلفت أواخر العبارات في هذا المقطع من الرّسالة على نسق واحد وتناسبت فواصله فأحدثت إيقاعا صوتيّا وذلك في كلمات (الأسطار الأفكار، الأغيار، الأبصار).

وقوله أيضا في موضع أخر:[2] "الذي أطلعه الله في سماء الجلالة بدرا، ورفع له في درجات الأمراء قدرا، وأجرى له على ألسنة الخلق ثناء جميلا وذكرا، فأصبح الدين مبتهجا بكريم دولته، وجناب الكفر مهتضما في صولته". وهنا وظف السجع بين (بدرا، قدرا، ذكرا دولته وصولته).

ونتطرق إلى رسالة عبد الكريم بن الفكون إلى شهاب الدين أبي العباس أحمد المقري وهي رسالة تركّز على الجانب الوعظي، حيث يطلب الدعاء لكي يتعلق قلبه بالدّين فيقول:[3] "أما بعد فإني أحمد الله إليك وأصلّي على نبيه سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم ولا أريد إلاّ صالح الدّعاء وطلبه منكم، وإني أحوج الناس إليه وأشدهم في ظني إلحاحا عليه بما تحققت من أحوال نفسي الأمارّة".

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ص196.

[2]– المرجع نفسه، ص 196.

[3]– محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1969، ص255.

ويوظّف السّجع أيضا في قوله:[1] "...وقد اتصل بيدي جوابكم، أطال الله في العلم بقاءكم فرأيت من عذوبة ألفاظهم وبلاغة خطابكم". ويظهر في الفواصل الأتية: (جوابكم، بقاءكم خطابكم)، لتطرب القارئ وتسهوا به.

ونظرا لما تزخر به نصوص النّثر من زخرف ضمّن في رسالته الجناس أيضا حيث يقول:[2] "...الأحبّ في الله، المؤاخي من أجله سيدي أبي العباس أحمد المقري أحمد الله عاقبتي وعاقبته". وهو جناس ناقص بين عاقبتي وعاقبته يحدث تناغما بين لفظتين تلفظان بنفس الطريقة تقريبا.

ويقول محمد القالي أيضا في نفس الخاصية الفنيّة: "الإمام العادل، السلطان الفاضل العالم العامل"

فكلمتي العالم والعامل جناس ناقص، وكذلك الدّنيا والدّين.

وقد اعتمد الأديبان في رسالتهما على توظيف التّراث العربي الإسلامي، أيضا من القرآن والحديث النبوي الشّريف حيث تبدأ رسائلهم دائما بالحمدلة والبسملة أو الصّلاة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، حيث ضمن آية في مطلع الرسالة لقوله تعالى: "وإنك لعلى خلق عظيم". إلى أن يقول مضمّنا قوله تعالى نقلا حرفيا:[3] **"وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ"**. أما محمد القالي فيضمّنه كالآتي في قوله:[4] "من فرّج على أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا فرّج الله عنه كربة من كرب الأخرة". وهذا حديث نبويّ ليطلب منه الإعانة ثم ضمّن في رسالته الدّعاء أيضا في

[1]– المرجع نفسه، ص255.

[2]– محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص256.

[3]– سورة الأنبياء، الآية 47.

[4]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ص 196.

قوله:[1] "أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولى مكافأة إحسانك وأن يديم على جزيل فضلك وجميل امتنانك ".

[1]– محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص256.

المبحث الثاني: فنّ المقامة:

شهد فنّ المقامات في الجزائر خلال العهد العثماني ضعفا من ناحية الشّكل والمضمون متّسما بسمة العصر، وقد برز في هذا الجنس الأدبي مجموعة من الكتّاب الذين تذوقوا هذا الفنّ منهم الشهاب الخفاجي الذي أضاف لمساته الخاصة على، مقاماته ليعرض من خلالها سيره الذّاتية ورحلاته،[1] وقد دون خمس مقامات يصور فيها تفاقم الأحوال بعاصمة الخلافة في نهاية كتابه الريحانة[2]، ونَوّع الكتّاب في مواضيع هذا الفنّ كما أنهم تخلّوا عن الرّاوي الذي يأتي ذكره في بداية المقامة، أما بالحديث عن ابن ميمون الجزائري في كتابه التّحفة المرضية نجد مقاماته تتحدث عن والي الجزائر محمد بكداش، من خلال ستة عشر مقامة يضمّن فيها سيرته الذّاتية [3]،لننتقل بالحديث عن البوني الذي كتب مقامة اقرب ما يقال عنها أنها تقليدية سنة 1106، والمسمات بإعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار يتحدث فيها عن علاقة العلماء بالسّلطة والاستنجاد بصديقه مصطفى العناني، والشكوى عن وشايات أهل القصر وفيها الكثير من الخيال والإغراب والتّهويل.[4]

وبالرّغم من اتسام هذا الفنّ بالضعف نوعا ما إلاّ أنه، ما لبث أن عاد على يد بعض الأدباء في أواخر العهد العثماني.[5]

1. المقامة التاريخية:

بالحديث عن المقامة السّادسة لابن ميمون في كتابه التّحفة المرضية التي قيلت في استفتاح الملك صباحا، وما جرى لأهل الدّولة غُدّوا ورواحا ويؤرّخ لهذا الاستفتاح الذي أجراه

---

[1]– ينظر: سحر ماهر أحمد أبو عطيوي: المقامات في العصرين المملوكي والعثماني دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير قسم اللّغة العربية، الجامعة الإسلامية غزة، 2014، ص53.

[2]–ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، 1990–1960، ط1، ص459.

[3]– ابن ميمون: التّحفة المرضية، ص113.

[4]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ص209.

[5]– ينظر: سحر ماهر أحمد أبو عطيوي: المقامات في العصرين المملوكي والعثماني دراسة تحليلية نقدية، ص53.

الملك في التسعة والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة ثمان عشرة ومائة وآلف، وهو تاريخ إسناد منصب الدّاي إلى محمد بكداش وكذا أربعة مناصب إلى أربعة أشخاص، من أنصار الدّاي ليذكر في نهاية المقامة ما آل إليه أمر الدّاي السّابق حسين خوجة الشّريف وذلك من خلال قوله: "...وبويع له بالخلافة وما أعظمها خلافة، وأبو الفتوح صهره الأمير حسن يفعل بين يديه كل حسن... والأربعة الآخرون واقفون بالباب يمهدون الملك بإفصاح خطاب... ولنذكر ما كان من أمر الشّريف ومعشره".[1]

لقد كتبت هذه المقامة بلغة بسيطة، تحتوي على مجموعة من الظواهر الفنية كتضمين الآيات القرآنية، حيث وظّف قوله تعالى[2]: **"إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"**. وقد ضمّن هذه الآية ليشحذ الهمم وينشر الصبر في أوساط الناس، فالله إذا نصر أحدا فلا رادّ لنصره وإذا قدّر خذله فلا ملجأ من الهزيمة له.

كما نلاحظ تضمينه لمجموعة من الأبيات الشّعرية أيضا حيث يقول:[3]

وما ضرّنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

إلى أن يقول:

الله أكبر أي شيء حزته حتى استكان لأمرك العظماء

شهدت لك الأعداء أنك ماجد والحق ما شهدت به الأعداء

وهذا التوظّيف مقترن بنفس سبب القاء الآيات لتهدئة النّفوس وبثّ الطمأنينة.

[1]– ابن ميمون: التّحفة المرضية، ص140.141.

[2]– سورة آل عمران، الآية 160.

[3]– ابن ميمون: التّحفة المرضية، ص140.141.

ونلاحظ أن هذه المقامة كتبت بلغة بسيطة تحتوي على مجموعة من الظّواهر الفنيّة كتوظيفه للجناس التّام في قوله:[1] "...وبويع له بالخلافة وما أعظمها خلافة وأبو الفتوح صهره الأمير حسن، يفعل بين يديه كل حسن من الدَّب عنه بسيفه ولسانه". وهنا وظف الجناس بين لفظتي "حسن" و"حسن" فالأولى هي اسم صهر بكداش، أما الثانية فتعني الفعل الطّيب.

ليوظّف في موضع آخر الجناس النّاقص في قوله[2]: "فأقسم بالله ليقعدن على رأسه من الملك إكليلا، يردّ اللّحظ عن سناه كليلا". وهنا نوع الجناس مردوف حيث نقص فيه الحرف الأول بين لفظتي "إكليلا" و"كليلا". ونجد أنّه كثّف من توظيف هذه الظّاهرة الفنيّة حيث يبقى مع نفس النّوع من الجناس قائلا[3]: "والفتك بمن يروم الخروج عن سلطانه، وهو أعزه الله ممن لا يضاهيه النّجم في مراقيه، وإن لسعت عقارب السّعي جسد الملك كان أحكم راقيه". فهو بين لفظتي "مراقيه" و"راقيه" ويبقى على هذا المنوال مضمّنا مختلف أنواع الجناس إلى أن يختم مقامته.

ويقول ابن ميمون في مقامته[4]: "وليطوِّعن له شرق البلاد وغربها، وليحملن على طاعته عجم الرّجال وعربها، والأربعة الأخرون واقفون بالباب يمهدون الملك بإفصاح خطاب، فمنهم صاحب السّيف المحدود، الليث الهمام الحاج محمود". وهنا نجد ائتلاف الفواصل فيما يلي :(غربها، عربها، الباب الخطاب، المحدود، محمود).

إلى أن يقول: "والفتى الأمجد، الحسام المهند، الذي جمع الباس، مع صغر الرّأس وصار وكيلا وعلى ما يتحصل ويخرج كفيلا، والآخر الذي ما زال يخوض بحار الهلك،

[1]– ابن ميمون: التّحفة المرضية، ص141.

[2]– المرجع نفسه، ص141.

[3]– المرجع نفسه، ص140.

[4]– المرجع نفسه، ص141.

حتّى تنحى عن خزانة الملك". فقد وظّف الجناس مشكلا بذلك نغمة موسيقية في الفواصل الأتية: (الأمجد، المهند، الباس، الرأس، وكيلا، كفيلا، الهلك، الملك).

ثم يوظّف الطباق ليخلق اختلافا في الظّواهر الفنيّة التي ضمّنها في مقامته حيث يقول:[1] "وليطوِّعن له شرق البلاد وغربها، وليحمِّلن على طاعته عجم الرّجال وعربها". ونجد التّضاد بين "الشّرق" و"الغرب "وكذا "العرب" و"العجم".

[1]– ابن ميمون: التّحفة المرضية، ص141.

المبحث الثالث: الرّحلات:

كانت الرّحلات في العهد العثماني كثيرة لاسيما في القرن الثاني عشر ولكن على الرّغم من كثرتها، فهي تعد قليلة الإنتاج مقارنة مع كتب الرّحالة المغاربة ولعل ذلك راجع إلى كون الرّحالة الجزائريين لم يعودوا إلى بلادهم، ليدونوا ملاحظاتهم لمواطنيهم.[1]هذا بالإضافة إلى ضياع بعضها وعدم العثور عليها، فرحلة ابن حمادوش لا توجد منها إلاّ نسخة واحدة في الرّباط وهي الجزء الثاني من الرّحلة، ويؤكّد ابن حمادوش نفسه في الجزء الثاني بأنه انتهى من الجزء الأول فيها، ولكن رغم محاولات الباحثين والدّارسين البحث عنها لم يتم العثور عليها،[2] وهناك بعض الرّحلات التي لم يعرفوا منها إلاّ أسماءها، والبعض الآخر لم يصل منه إلاّ القليل، غير أنّ فيها ما عثر عليها كاملة.[3]

وقد انقسمت الرّحلات خلال العهد العثماني في الأغلب إلى قسمين: دينيّة وعلميّة.

1. الرّحلات الدّينية:

وتسمى أيضا بالرّحلات الحجازية أو الحجية، والتي كان على رأس الأهداف المرجوة منها أداء فريضة الحج، يصف فيها الرّحالة كل ما يراه ويفعله طوال مدة سفره، معها مختلف المصاعب التي يواجهها في البر والبحر بالإضافة إلى ذلك حديثه عن المناسك وكيفية تأديتها والقيام بزيارة قبر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم،[4] وتحاول الرّحلة من خلال ذلك تسجيل ما ينتاب الحاج من أشواق وحنين إلى تلك البقاع المقدسة، واصفا انفعالاته وأحاسيسه الجياشة.

---

[1]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ص381.382.

[2]– ينظر: ابن حمادوش: الرّحلة، ص13.

[3]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ص382.

[4]– ينظر: زوهري وليد: أدب الرّحالة الجزائريين إلى مكة والمدينة دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدّراسات اللّغوية والأدبية العدد1، جامعة المدية، الجزائر، يونيو2012، ص151.152.

وتعد الرّحلة الدّينية في العهد العثماني أكثر وفرة نسبيّا مقارنة مع الرّحلة العلمية، ومن بين الرّحلات:

- **الرّحلة الورثيلانية:**

تعتبر رحلة الورثيلاني[1] "موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر للهجرة، التي اعتدّت بالوصف الجغرافي والسّرد التّاريخي الخاصين بالبلاد العربية (الحجاز)".[2] هذا ما جعلها ذات أهمية كبيرة، لما تحتويه من وصف دقيق للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ونظام الحكم، والمسالك والعمران كما أنها تمثل صورة صادقة للواقع الثقافي والفكري للبلدان التي زارها.[3]

وقد عمد الوثيلاني في سرده لأحداث رحلته بتدوينه تفاصيلها ونقله للواقع الذي صادفه بلغة لا تخلو من أساليب الجمال من بديع ومجاز. فيقول في مقدمتها:[4] "الحمد لله الذي خلق الإنسان أطوارا، وجعل القمر والنّجوم أنوارا، وسيّرها من كون إلى كون بحيث تقطع أبراجا ليلا ونهارا". يبتدأ الورثيلاني مقدّمة رحلته بالحمدلة، وهذا ما شاع عند العرب المسلمين قديما بدايتهم بالحمدلة أو البسملة أو التصلية على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، مستخدما في ذلك لغة سهلة واضحة بعيدة عن الألفاظ الغريبة المبهمة، ونجده أيضا قد ضمّن من الأساليب الفنيّة الجمالية الكم الوفير في هذا المقطع، فنجده زاخرا بأشهر أنواع البديع من سجع وجناس وطباق، أما السّجع فقد وظّف الكاتب السّجع المطرف في قوله[5]:" الحمد لله الذي خلق الناس أطوارا، وجعل القمر والنجوم أنوارا، وسيّرها من كون إلى كون

---

[1]– الحسين ابن محمد الورثيلاني ولد عام 1125 وتوفي عام 1193.

[2]– حنيفي هلال: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للنشر والتوزيع، ميلة، الجزائر، ط1، 1429 هـ،2008م، ص217.

[3]– المرجع نفسه، ص217.

[4]– الورثيلاني: الرّحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 2008.1429هـ، ص11.

[5]– الورثيلاني: الرّحلة، ص11.

بحيث تقطع أبراجها ليلا ونهارا". وسمي بالمطرف لأن الفاصلتين اختلفتا في الوزن.[1] وقد وظف أيضا الجناس الناقص المضارع في: (أنوارا، أنهارا) بالإضافة إلى توظيف طباق الإيجاب (الليل، النهار) لتسهم بذلك هذه المحسنات البديعية في ترك ذلك الأثر الموسيقي، في سمع القارئ بغرض لفت انتباهه وحثّه على استكمال القراءة والاستمتاع بها.

2. الرّحلة العلمية:

وهي الرّحلة التي كان الدّافع الأول لها هو طلب العلم والاتصال بالعلماء والاستزادة منهم، غير أنّ هذه الدّوافع قد تتعدّد أشكالها في الرّحلة الواحدة، فنجد مثلا رحلة دينية علمية في الوقت نفسه[2] لذلك عمدنا على اختيار نموذج لرحلة قد طغى عليها، الطابع العلمي أو بالأحرى كان هدفها الأول هو نهلُ مختلف العلوم.

- **رحلة ابن حمادوش:**

كانت رحلة ابن حمادوش بغرض طلب العلم والتجارة، فشد رحاله نحو المغرب سنة 1156هـ.1734م، وصف ابن حمادوش فيها الحياة العلمية والسّياسية والاقتصادية في المغرب وأحوال شعبها وعاداتهم وتقاليدهم والتقاءه بمختلف العلماء والمشايخ. "كما لا نغفل أيضا أنه قد ضمنها معلومات هامّة عن تاريخ الجزائر فذكر في رحلته بعض الثّورات الداخلية مثل ثورة أهل زواوة على قائد سباو وتحدث عن توقيع الصلح بين الجزائر والدنمارك، كما سجل فيها حادثة فرار ابن أحمد الريفي، ومحمد باي التونسي إلى الجزائر في وقت واحد واجتماعهما مع داي الجزائر إبراهيم باشا."[3] لذلك عدَّت رحلته فريدة من نوعها، على الرّغم من ضياع جزئها الأول والتي كان غرضها زيارة مكّة المكّرمة.

---

[1]– عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ص92.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ص397.

[3]– بحري نصيرة: استقراء التاريخ من خلال رحلة ابن حمادوش الجزائري، مجلة مدارات تاريخية، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، العدد3، المجلد1، سبتمبر2019، ص399.

وقد سرد ابن حمادوش أحداث رحلته بلغة سهلة بسيطة بعيدة عن الغرابة والتّكلف فكان قلّ ما نجد فيها من أساليب الجمال والبديع غير أنّنا عمدنا على أن نتخير، منها فقرات كان قد نسجها بأسلوب مسجوع.

ففي حديثه عن أحد شيوخه في قوله:[1] "شيخنا العديم النّظير، ذو الفهم الرّايق، والحفظ الرّافق، والبحث والتحرير، الإمام العلامة النّخرير الذّكي، الألمعيّ الزّكي، أبو عبد الله وسيدي ومولاي محمد ابن أحمد القسنطيني".

ونجد هذه الفقرة قد احتوت على السجع والجناس في نفس الوقت، حيث ترك هذان الأسلوبان ذلك الأثر الرّنان في كل فاصلة من فواصله، إلا أن معظم ما جاءت عليه رحلة ابن حمادوش هو طريقة السّرد البسيط.

[1]– ابن حمادوش: الرحلة، ص43.

المبحث الرابع: الكرامات والعجائبيّة:

عرفت الكرامة صدى واسعا في العهد العثماني بسبب إيمان الناس بها والتصديق بحقيقة وقوعها واختصت بالأولياء الصالحين، ليُتّخَذ منهم مثالا يُحتَذى به حيث عمدوا فيها لاستمالة الناس رغم تقصيرهم في الجانب الدّيني في بعض الأحيان، ولم تعرف الكرامة في العهد العثماني تأريخا وتنوعا في الموضوعات، ولا براعة في الأسلوب حيث جاءت بعيدة عن التّصنع والتّنميق اللفظي فنادرا ما نجده فيها، فيما اهتمت بتوظيف الخيال.[1]

كرامة أبوعبد الله محمد بن أحمد الشّريف الزّهار للتنبؤ بالمستقبل:

ومنها ما ذكره صادق محمد الحاج حيث يقول عنه: "أبوعبد الله محمد بن أحمد الشّريف الزّهار الذي كان أكثر حاله السّكر والغيبة، حيث كان يدخل مسجد القلعة حافيا ويقول: "(أدّنسه قبل أن ينجسه الكفار)، على وجه الإنذار باستيلاء الأضبان على القلعة وقال: (إن النصارى سيأخذون تلمسان). فقيل له: (مع وجود أبي مدين بها؟). قال: (نعم وطئون بطنه). وكان الأمر كما قال عام 1543/950. وأخبر أيضا باستيلاء النصارى على بجاية بأن قال: (التواتي ما يواتي!)، فكان ذلك عام 1510/916 على يد بدرو نافارو Padro Nava ولم يخرجوا منها إلى في سنة 1555/962".[2]

افتتحت هذه الكرامة بجملة استهلال تتمثل في ذكر اسم "صادق محمد الحاج" حيث يعتبر الرّاوي الذي يصلنا بالشّخصية البطلة في هذه الكرامة وهي "أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الزهار"، ليقنع المتلقي بصحة الرواية كالاتي: "ومنها ما ذكره صادق محمد الحاج حيث يقول عنه: "أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الزهار الذي كان أكثر حاله السكر

[1]– ينظر: بيوض فائز: النثر الجزائري في العهد العثماني الرسائل والكرامات أنموذجا، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، سنة (2018–2019)، ص140

[2]– صادق محمد الحاج: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف –دراسة خاصة بمدينة متوسطة في الجزائر–، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص89.

والغيبة"[1]، ليبدأ بعد ذلك بسرد الأحداث موظفا الفعل "قال" حيث يخبر عن أحداث غريبة وقعت للشخصية البطلة المتمثلة في الولي الصالح وما له من قدرات خيالية يعجز البشر العاديون عن الإتيان بمثلها في ذلك العهد وهي التنبؤ بالمستقبل لتجعل له مكانة مميزة في أوساط المجتمع ليقول عن التنبؤ بالحادثة الأولى: "حيث كان يدخل مسجد القلعة حافيا ويقول: "(أدنسه قبل أن ينجسه الكفار)، على وجه الإنذار باستيلاء الأضبان على القلعة .وقال: (إن النصارى سيأخذون تلمسان). فقيل له: (مع وجود أبي مدين بها؟). قال: (نعم وطئون بطنه). وكان الأمر كما قال عام 1543/950."[2] ذاكرا المكان وهو مسجد القلعة وكذا زمان وقوع التنبؤ، وعادة ما يذكره ليعزز من فكرة حدوث هذه الكرامة، لينتقل للتنبؤ عن الحادثة الثّانية قائلا: وأخبر أيضا باستيلاء النصارى على بجاية بأن قال: (التواتي ما يواتي!)، فكان ذلك عام 1510/916 على يد بدرو نافارو Padro Nava ولم يخرجوا منها إلى في سنة 1555/962.[3]

ونجد أن الكرامة لها علاقة وطيدة بالسرد العجائبي، ذلك أنها تتجاوز المألوف حيث يختلط فيها الواقعي واللاواقعي، فالواقعي فمن خلال الشخصيات المذكورة في المتن كالراوي صادق محمد الحاج والولي الصالح أبوعبد الله محمد بن أحمد الشريف الزهار وأبو مدين وهي شخصيات لها وجودها المرجعي والتاريخي، وكذا ذكر المكان كمسجد القلعة، بجاية وتلمسان. أما اللاواقعي فيكمن في التنبؤ بأن النصارى سيأخذون تلمسان وبجاية وهذا ما يجعل المتلقي في حيرة بعد تحقق تنبؤ الولي الصالح ويضفي قدسية على هذه الشخوص من خلال كشفهم عن الغيبيات.

[3]– المرجع نفسه، ص89.

[2]– صادق محمد الحاج: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف –دراسة خاصة بمدينة متوسطة في الجزائر، ص89.

[3]– المرجع نفسه، ص89.

أما بالحديث عن الظواهر الفنية فنجد أن هذه الكرامة كتبت بأسلوب لغوي بسيط، كما لاحظنا توظيف التكرار من خلال الفعل "قال" وذلك لسرد حكايات الولي الصالح ولتظهر واقعية الكرامة ولكنه لم يظفي أي جمالية في النص.

كرامة سيدي عبد القادر بن عبد الله المشرفي في معرفة الجن من الإنس:

يقول أبو راس الجزائري: فمن ذلك ما أخبرني به –رضي الله عنه! –قال: بينما أنا أمشي عند الشيخ أحمد أمعاز، وإذا برجل لقيني: أحمر، غليظ، حاف، كأنه من رجال "قلعية" فقلت له: من أنت، فقال: من الناس، قال، فقلت له: أنت من عفاريت الجن، أرسلك السيد العربي بن بركان المهجاجي إلى الحاج محمد بن مشرف لتضره؟ فإذا به رجع ثورا عظيما وعدا عدو الفرس، وأنا أنظر إليه، وذنبه على رأسه، حتى توارى عني بشجرة الشيخ أحمد بن عطاء، كأنه قاصدا "إيفكان"، لأن الشيخ العربي به، وكان في منافسة مع الحاج محمد مذكور لأن الحاج محمدا يغري عليه طلبة "الحشم".[1]

حيث إن الراوي في هذه الكرامة هو أبو راس الجزائري، يتحدث عن سيده الولي الصالح عبد القادر بن عبد الله المشرفي ويقول رضي الله عنه لما له من مكانة مميزة عنده تجعله يعظمه ذاكرا كذلك في متن كرامته مجموعة من الشّخصيات (العربي بن بركان المهجاجي الشّيخ أحمد بن عطاء، الشّيخ أحمد أمعاز) ليزيد من واقعية الكرامة حيث أن مذهب التصوف وكذا المتصوفة احتلوا مكانة في تاريخ الإسلام في المجتمع الجزائري خاصة خلال تلك الفترة حيث كانوا يعمدون إلى استمالة الناس لهم من خلال هذه القصص ذات الطابع العجائبي بأن لهم قدرات خارقة لا يستطيع فعلها عامة الناس كمعرفة الإنس من الجن رغم خروجه في هيئة إنسان عادي وقدرته للتحول في الحالتين حيث يقول في كرامته[2]:": أنت من عفاريت الجن أرسلك السيد العربي بن بركان المهجاجي إلى الحاج

[1]– محمد أبو راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق: الجزائري محمد بن عبد الكريم المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ط، 1990، ص53.54.

[2]– المرجع نفسه، ص53.

محمد بن مشرف لتضره؟ فإذا به رجع ثورا عظيما، وعدا عدو الفرس، وأنا أنظر إليه، وذنبه على رأسه". فهنا تكمن العجائبية في قدرتهم على كشف المستور من خلال رؤية الجن.

وخلاصة القول في هذا الفصل: كتب الأدباء في العديد من الفنون في النثر كالرّسائل المقامات الرّحلة وهي مصادر قيمة تؤرخ للدولة الجزائرية في العهد العثماني حيث تعد الرّسائل بنوعيها الديوانية والإخوانية صورة دالة على مظاهر الحياة الاجتماعية والسّياسية والأدبية ومن الأدباء الذين ألفوا في هذا الفن النثري نذكر، (يوسف باشا، محمد بن محمد القالي، عبد الكريم بن الفكون)، حيث كانت الرّسائل الديوانية ذات طابع رسمي والإخوانية تتسم بكونها ذات طابع منمق بالمشاعر والأحاسيس .أما المقامات فقد وضعت القارئ أمام صورة المجتمع الذي عايش مختلف الاضطرابات السّياسية في ذلك العهد، ومثال ذلك مقامات ابن ميمون التي عرضت السيرة الذاتية لمحمد بكداش، وسردت أحداث مهمة في تلك الفترة، كما أرخت رحلات ابن حمادوش والورثلاني لفترة الحكم العثماني على الرغم من أنه لم يذكر في أغلبها تواريخ محددة إلا أنها صورت أحداثا مهمة من تاريخ الجزائر خاصة رحلة ابن حمادوش، وإذا جئنا لفن الكرامة نجدها ارتبطت بمصطلح العجائبية اختصت بها طائفة معينة من المتصوفة، وهم الأولياء الصالحين الذين لديهم قدرات غير الطبيعية كالتنبؤ بالمستقبل وغيرها كثير ونادرا ما نجد فيها ظواهر فنية .

الظواهر الفنية في النثر الجزائري:

لقد اعتمد الأدباء في تأليفهم للمتن النثري على كتابات سارت على نهج القدامى تضمنت مجموعة من الظواهر الفنية سنوضحها كالآتي:

1. كتبت المتون النثرية بأسلوب واضح وبسيط، بلغة سهلة خالية من التكلف والكلمات المستعصية التي تحتاج للشرح.
2. كثف الكتاب من توظيفهم للسجع والجناس وكذا التكرار ليمنحوا النصوص جرسا موسيقيا يضفي قيمة جمالية.

3. لقد كانت الكتب السماوية على مر العصور، مصدر إلهام للأدباء نظرا لتأثيرها القوي في المتلقي فضمن الأدباء مختلف أنواع التناص الديني من قرآن وحديث نبوي وكذا أدعية كحجج لتقوية المعاني وكان لهذا التناص حظ وافر من التوظيف.

خاتمـــــة

خاتمة:

لقد سعينا في بحثنا هذا إلى إبراز جانب مهم من التّراث الفكري والأدبي الجزائري، إبّان مرحلة تاريخية مهمة هي الفترة العثمانية، التي عانت من الإهمال والتهميش من قبل الباحثين حيث كانت مرحلة ثرية نوعا ما بالإنتاج الأدبي على صعيد النثر والشعر ولقد توصلنا إلى النّتائج التالية:

- ✓ لقد ارتبطت الجزائر بالدّولة العثمانية ارتباطا وثيقا، نتيجة الخطر الإسباني الذي كان يهددها، وتميّزت هذه الفترة من تاريخ الجزائر التي ابتدأت في الرّبع الأول من القرن السادس عشر وانتهت في الربع الأول من القرن التّاسع عشر، بتعاقب عدّة أنظمة سياسية عرفت فترات استقرار وفترات ضعف اعتمد فيها الحكام على نظام إداري محكم.
- ✓ شهدت الحياة الثقافية في الجزائر في العهد العثماني، تركيزا على الجانب الدّيني أكثر من الأدبي وذلك ما كان جليا من خلال المراكز الثقافية، التي كانت تنحصر تقريبا في كتاتيب القرآن والزوايا وكذا المكتبات التي كانت تكتسي حلّة دينية.
- ✓ لم تكن البيئة الجزائرية على العموم بيئة مساعدة على الإبداع، نظرا لانشغال بعض حكامها بالحياة السياسية أكثر منها الأدبية.
- ✓ عرف النّتاج الأدبي في تلك المرحلة فترات ركود، ولكن رغم ذلك نبغ فيها مجموعة من الشعراء أمثال: المقري، عبد الرحمن الأخضري، ابن عمار، المنجلاتي، الفكون ابن سحنون، وغيرهم كثر.
- ✓ كتب الشّعراء في مواضيع متعددة: كالشّعر الديني، الشّعر السياسي، الشّعر الاجتماعي والشّعر الشّعبي.
- ✓ سار الشعراء الجزائريون في نظمهم على خطى القدامى قلبا وقالبا في مختلف الأغراض.

- ✓ زخرت دواوين الشعراء الجزائريين في العهد العثماني بالشّعر الدّيني، وخاصة المديح النّبوي والمولديات وشعر التّصوف نظرا لاهتمامهم بتعاليم الإسلام.
- ✓ نال الشّعر السّياسي حظًّا وافرا من النظم نظرا لطبيعة الظّروف المختلفة التي عايشها العصر من اضطراب وهدوء، كما اكتست هاته الأشعار صبغة دينيّة وانحصر جلها في مدح الأمراء والملوك وهجاء الكفار وكذا الانشغال بالحديث عن تحرير وهران.
- ✓ خُصِّص الشّعر الاجتماعي بغرض مدح ورثاء العلماء والشيوخ، نظرا لمكانتهم المهمة.
- ✓ كان الشّعر الشّعبي بمثابة وثيقة تاريخيّة، ينقل فيه الشعراء الواقع المعاش.
- ✓ يحتوي الشّعر الجزائري في العهد العثماني على جميع ألوان البيان والبديع.
- ✓ كان للنّص النّثري أيضا علاقة وطيدة بالواقع، في هذه المرحلة التّاريخية فقد كتب الأدباء في مختلف الفنون كالرّسائل بنوعيها الديوانية والإخوانية، وكذا فن المقامة الرّحلة والكرامات العجائبية.
- ✓ كانت الرّسائل في العهد العثماني بمثابة حلقة وصل بين المتراسلين بنوعيها الرّسائل الدّيوانية والإخّوانية ولم يَخلُ كلا النوعين من التوظيف المكثّف للسجع والجناس وكذا حضور التّناص الدّيني كحجج لتقوية المعاني.
- ✓ جاءت المقامة في شكل سيرة معتمدة على السّرد التاريخي.
- ✓ كانت الرّحلات ذات أغراض أغلبها دينية وعلمية وهي عبارة عن وثائق مهمة لتسجيل

التّاريخ.

- ✓ شكلت الكرامة الصّوفية نصوصا جسدت في طياتها مظاهر العجائبية في الجزائر خلال العهد العثماني.

وخلاصة القول: إن الحديث عن الأدب بنوعيه النّثر والشّعر في الفترة العثمانية يستدعي الحديث على أن هناك تأليف ولكن ضاع معظمه وطاله التلف، فعلى الرغم من أن الحكام لم يهتموا بالأدب إلا أنهم لم يمنعوا الأدباء من التأليف والنظم وعليه تكون النّتيجة العّامة التي توصلنا إليها في نهاية بحثنا تكمن في أنّه على الرغم من فترات التّراجع التي اجتاحت أدب الجزائر في العصر العثماني إلا أنه لا يمكننا الإنكار المطلق بأنه لا توجد نتاجات أو ابداعات طوال ثلاثة قرون كاملة، وتبقى هذه الدراسة غيض من فيض لكننا لا ندعي أننا أحطنا بجميع جوانب هذا الموضوع، وأن نتائجه خالية من العثرات، بريئة من الخلل، لكن نأمل أن نكون ساهمنا بجهد متواضع ينير درب كل من يتبنى دراسة في نفس الموضوع.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم : رواية ورش**

قائمة المصادر والمراجع:

1/ الكتب:

1. أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013.
2. جمال بن عمار الأحمر: موسوعة تاريخ شعراء الجزائر في العهد العثماني، ج3، ط1 دار الأيتام للنشر والتوزيع عمان، الأردن،2016.
3. ابن حمادوش الجزائري: رحلة ابن حمادوش الجزائري، تحقيق: أبو القاسم سعد الله المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1983.
4. حنيفي هلال: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للنشر والتوزيع ميلة، الجزائر، ط1، ،1429 هـ ،2008م.
5. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تحقيق: عبد الحميد محمد محيي الدين، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1955، ط2.
6. زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، دار المحجة البيضاء، د ط، د ت.
7. سعيدوني ناصر الدين: الجزائر في تاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.
8. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، 1990-1960، ط1.
9. الطبري: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، مجلد1، مؤسسة الرسالة، ط1، 1994.
10. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية، الجزائر (1375م - 1955م).

11. عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1987،1408.
12. عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب بالجاميز، القاهرة، ط5، ج4، 1993.
13. ابن عمار: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة بوبتانة، الجزائر، 1903.
14. قاسم سعد الله: تجارب في أدب الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.
15. القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة،1340 هـ1922م.
16. محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 1981.
17. محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969.
18. المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: تحقيق حسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، 1988.
19. الورثيلاني: الرّحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008.1429هـ.

3/ المجلات:

1. أرزقي شويتام: طبيعة الحكم العثماني في الجزائر(1830م-1519م)، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد1، شهر جوان 2022.
2. بحري نصيرة: استقراء التاريخ من خلال رحلة ابن حمادوش الجزائري، مجلة مدارات تاريخية، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، العدد3، المجلد1، سبتمبر2019.
3. جميلة معتوق: المولديات النبوية في المديح النبوي الجزائري القديم وسماتها الفنية مجلة رفوف جامعة أدرار، عدد1، سبتمبر2018

4. حمزة بوزيان: تشكيلات التعدد اللغوي والعامية في شعر لخضر بن خلوف، مجلة(الكلم)، جامعة أحمد بن بلة وهران1، العدد1، التاريخ 2019/04/01.
5. زوهري وليد: أدب الرحالة الجزائريين إلى مكة والمدينة، دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد1، جامعة المدية، الجزائر، يونيو2012.
6. سحابات زهيرة: البحرية الجزائرية ودورها في الحروب العثمانية ما بين 1551م-1639م، مجلة الخلدونية، العدد1، 01/06/2016.

4/ الرسائل الجامعية:

1. حسين جدوع الهروط عبد الحليم: الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، في كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية.
2. سحر ماهر أحمد أبو عطيوي: المقامات في العصرين المملوكي والعثماني دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية غزة، 2014.
3. محمد أمين: الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، سنة (2007-2008).

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة: ..... أ–د

مدخـــــل: السياق التاريخي والثقافي للجزائر في العهد العثماني

تمهيد: 6

أولا: الحياة السّياسية: 6

ثانيا: الحياة الثقافية: 13

الفصل الأول: الشعر الجزائري في العهد العثماني وظواهره الفنية"نماذج مختارة"

تمهيد: 18

المبحث الأول: الشّعر الدّيني: 19

1–التّصوف: 19

2–المدائح النّبوية والمولديات: 21

1–المدح: 27

2–الحث على الجهاد: 29

3–فتح وهران: 31

4–الهجاء السّياسي: 32

–5هجاء الكفار: 33

المبحث الثالث: الشّعر الاجتماعي:.....36

1-الرّثاء:.....36

2-المدح:.....41

المبحث الرابع: الشّعر الشّعبي:.....44

الفصل الثاني: النثر الجزائري في العهد العثماني وظواهره الفنية "نماذج مختارة"

تمهيد:.....54

المبحث الأول: الرّسالة:.....55

أولا: تعريف الرّسالة اصطلاحا:.....55

1-الرّسائل الدّيوانية:.....56

أ.رسالة يوسف باشا إلى الشّيخ محمد ساسي البوني:.....56

2-الرّسائل الإخوانية:.....59

أ..رسالتي محمد بن محمد القالي إلى محمد بكداش وعبد الكريم بن الفكون إلى شهاب الدّين أبي العباس أحمد المقري:.....59

المبحث الثاني: فنّ المقامة:.....63

1.المقامة التاريخية:.....63

المبحث الثالث: الرّحلات:.....67

1.الرّحلات الدّينية:.....67

2.الرّحلة العلمية:.....69

المبحث الرابع: الكرامات والعجائبيّة:.....71

خاتمة: 77

قائمة المصادر والمراجع: 81

الملخص:

تهدف هذه الدّراسة إلى محاولة تسليط الضوء على العصر العثماني في الجزائر ومحاولة التّعرف على مظاهره، وحدوده الزّمانية والمكانية وما رافقه من أحداث سياسية وثقافية وربطها بالحياة الفكريّة والأدبيّة ومعرفة ما إذا كانت سببا إما في ازدهارها أو تراجعها، ومهما يكن فإنّ هذه الدراسة رصدت بعضا من مسيرة الأدب في تلك الفترة، وذلك من خلال النماذج المدروسة وتبين أنه على الرغم من الاضطرابات السياسية وتجاهل الدولة العثمانية للجانب الأدبي وصنّاعه، إلا أننا لا ننكر أنه قد نبغ جمع من الشّعراء والكتّاب في تلك الفترة بذلوا جهودهم للنهوض بالأدب.

Summary:

This study aims to shed light on the Ottoman era in Algeria, and to try to identify its manifestations, its temporal and spatial limits and the accompanying political and cultural events and link them to intellectual and literary life and find out whether they caused either its prosperity or decline .However, this study monitored some of the literary process in that period, through the studied models, and shows that despite the political unrest and the Ottoman state's disregard for the literary aspect and its industry, we do not deny that a group of poets and writers in that period exerted their efforts to promote literature.